أدوات التَّمَنِّي الفرعية في القُرْآن الكريم ودلالاتها

للدكتور

سعيد إسماعيل الهلالي

المدرس بقسم البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بالزقازيق

بحث محكم وصالح للنشر في مجلة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالقاهرة

في العام الجامعي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، يمنح الحول والمدد كل يد ضارعة تمتد- في صدق- ترجو حوله ومدده.

والصلاة والسلام على إمام المرسلين وسيد الهداة، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واستن بسنته إلى يوم القيامة والدين.

وبعد

فقد سبق لي -بفضل الله وعونه -أن وقفت مع أسلوب التمني مرتين:

الأولى:حينما وقفت معه في البلاغة العربية، أحاول أن أتتبع نشأته وتطوره، وأن أدرسه دراسة فنية، وذلك لمحاولة تجلية صورته، والكشف عن جذوره الممتدة عبر الأزمان والأطوار في التراث البلاغي.

الثانية:حينما وقفت معه في رحاب الكتاب العزيز لمحاولة رصد أدواته ودلالاته، ومقصدي الأول والأهم من ذلك أن أساهم في بيان خصائص الأسلوب القرآني؛ وذلك لأن هذا الصنيع- في رأي- يعتبر الجسر الحقيقي والمعبر الأصلي للكشف عن سر إعجازه الأخاذ.

وقد تجلى ذلك في الوقوف مع أداة التمني الأصلية (ليت)في القرآن الكريم لمحاولة رصد سماتها ودلالاتها.

وهاأنا ذا -بحول الله وقوته-أتم مابدأته ، وأفي بما قطعته على نفسي وفاء بحق النظم الكريم والفن البلاغي؛ وأقف في هذا البحث مع أدوات التمني الفرعية في القرآن الكريم لمحاولة جمعها والوقوف على دلالاتها.

وقد حاولتُ في هذا البحث أن أجمع كل الأدوات الفرعية التي أفادت التمني في القرآن الكريم، وأن أرصد سماتها، وخصائصها وأن أ قف على دلالاتها.

ومن ثم قسَّمتُه إلى مقدمة، ومدخل، و ثلاثة مباحث – وقد جعلتُ هذه المباحث محاور لاستيعاب الأدوات–، ثم ذيلته بخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع .

فأما المبحث الأول فقد تحدَّثتُ فيه عن دلالة ألوان الإنشاء الطلبي ـــ خلاف التمني ـــ على التمني ، وذلك كدلالة بعض أدوات الاستفهام عليه وكذلك دلالة الأمر والنهي.

وأما المبحث الثاني فقد تحدَّثتُ فيه عن دلالة بعض ألوان الإنشاء غيرالطلبي على التمني ، وذلك كـ (لعل)

وأما المبحث الثالث فقد تحدَّثتُ فيه عن دلالة بعض أساليب الخبر على التمني سواء ماكان منها بالمجاز أم بالكناية.

وأرجو من الله –جل وعلا–أن يكتب القبول لهذه المحاولات الثلاث التي وقفتها مع أسلوب التمني حتى تتم الفائدة ويعم النفع؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه؛ و صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

د/سعيد إسماعيل الهلالي

مدرس البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بالزقازيق

جامعة الأزهر

أدوات التمني الفرعية في القرآن الكريم ودلالاتها

مدخـــل:

من المعروف والمسلم به عند جمهور البلاغيين أن (ليـــت) هـــي أداة الـــتمني الأصلية؛ و قد رأينا ـــ من خلال الاستعمال القرآني لهذه الأداة ـــ أنها لم تـــستعمل في غير معنى التمني، فلم تفارقه ولم يفارقها؛ ومن ثم فإننا نستطيع في اطمئنان كامـــل ـــ بعد الوقوف مع كل مواقعها في القرآن الكريم ـــ أن نقـــول : إنهـــا لم تجئ في القرآن الكريم لغير معنى التمني ، ومما يؤكد هذا القول أن المالقي ـــ طيب الله ثراه ـــ قد ذكر عنها أنها لم تجئ في كلام العرب لغير هذا المعنى .

ولم تقتصر إفادة التمني على (ليت) بل للتمني أدوات كـــثيرة ومتعـــددة قـــد ذكرها علماء العربية ، وهذه الأدوات تختلف في مذاقاتها وإيحاءاتها؛ ولذا فإن لكـــل أداة من هذه الأدوات مقاماً معيناً يطلبها وتطلبه ويناسبها وتناسبه .

وهذه الأدوات ليست موضوعة لإفادة التمني من أول الأمـــر، وإنمـــا هـــي موضوعة لإفادة معان أخر خلاف التمني، ثم استعملت في إفادة معنى التمني علـــى سبيل المجاز؛ ولذلك سميت بالأدوات الفرعية.

ويلاحظ على هذه الأدوات وتلك الوسائل أن بعضها في الأصـــل ينتمـــي إلى الأساليب الإنشائية الطلبية بأقسامها المختلفة؛وذلك كـــبعض أدوات الاســـتفهام ـــ وهي:هل وأين ومتى ـــ وبعض صيغ الأمر والنهي.

وبعضها ينتمي إلى الأساليب الإنشائية غير الطلبية وذلك كـ(لعل) حينما تخرج عن أصل وضعها إلى إفادة معنى التمني ، ويكون نصب المضارع بأن مضمرة بعد الفاء في جوابها دليلاً على ذلك ــ على رأى البصريين ــ .

وبعضها ينتمي في الأصل إلى الخبر وذلك كـ(لو) التي هي في أصل وضعها حرف امتناع، وقد تخرج عن هذا المعنى إلى إفادة معنى التمني، بل قد يخرج الخبر عن أصل وضعه إلى إفادة معنى التمني ــ كما سنرى ــ .

على أن دلالة هذه الأساليب ــ سواء أكانت إنشائية ــ طلبية أو غير طلبية ــ أم خبرية ــ على معنى التمني، قد تكون من قبيل المجاز المرسل الذى علاقته الإطلاق والتقييد أو السببية أو اللزوم، وقد تكون من قبيل الكناية ، وقد تكون من باب الاستعارة التبعية، وقد تكون من مستتبعات التراكيب ، والمقام والسياق هما اللذان يرشحان طريق الدلالة المناسب.

ومما هو جدير بالذكر أن المتأخرين هم الذين أشاروا إلى طرق هذه الدلالة، وسوف نوضح كل هذا في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

- المبحث الأول

دلالة الإنشاء الطلبي على التمني

من المعروف أن الإنشاء الطلبي ينقسم إلى خمسة أنواع وهي: التمني، والاستفهام، والأمر ، والنهي، والنداء.

وقد ذكر علماء العربية منذ القدم أن هذه الأساليب قد تخرج عن معانيها الأصلية التي وضعت لها إلى لإفادة معان أخر تستفاد بمعونة القرائن والسياق ، وتسمى هذه المعاني بالمعاني البلاغية وتجوزاً بالمعاني المجازية، ومن سمتها أنها لا تحد ولا تنتهي بل هي متفلتة، ومن ثم فإن البلاغيين لم يحاولوا ضبطها ولا تحديدها، وإنما ذكروا منها ما ذكروا على سبيل الاستشهاد لا الحصر ، وهذا هو جانب الثراء فى الأساليب الإنشائية الطلبية.

وكان مما ذكره البلاغيون وله صلة بهذا البحث ، أن بعض أدوات الاستفهام قد تخرج عن أصل وضعها إلى إفادة معنى التمني، كما أن الأمر والنهي قد يخرجان إليه، وذلك إذا خوطب بهما ما لا يعقل ، ونحاول توضيح هذا من خلال الوقوف مع بعض الآيات التى جاءت فيها هذه الأساليب وأفادت التمني .

١ - أدوات الاستفهام:

أشار علماء العربية منذ سيبويه إلى خروج أدوات الاستفهام إلى معان أخر من بينها التمني ، ولما وجدته فى القرآن قد أفاد معنى التمني من أدوات الاستفهام هو (هل)، و(متى)، و(أنى).

فأما (هل) فقد اشتهرت فى استعمالها في إفادة معنى التمني حتى غدت تـذكر ضمن أدواته دون بقية أدوات الاستفهام الأخرى، هذا في غـير القـرآن، أمـا في القرآن الكريم ، فمن خلال النظر فى مواقعها فيه ـ وهى ثلاثة وتسعون موقعـاً ـ نجد أنها قد أفادت معنى التمني كثيراً، وهي بهذا قد خرجت عن أصل وضعها، وهو الاستفهام، إلى معنى التمني؛وذلك بمعونة المقام والسياق ؛ لأنها قد استعملت في غير الممكن، والاستفهام لا يكون إلا فى الأمور الممكنة ٠

على أن استعمال (هل) في التمني "لا يعنى أنها انفكت عن الاستفهام ـ الذي هو أصلها ـ وأنها أفرغت منه إفراغاً تاماً ؛ لأن ذلك لا يكون فى الكلمات، وإنما يبقى فيها الإيحاء بأن ما دخلت عليه أمر ممكن ، وهذا يفرغ على التمني لوناً آخـر يجعله في صورة الممكن، وإن كانوا يعتقدون يقيناً أنه لا سبيل إليه، وإنمـا هكـذا أوهمت عبارتهم"[1] ٠

وبالنظر فى المواطن التى أفادت فيها (هل) معنى التمني نجد أن دلالتها على هذا المعنى كان فى بعض المواطن واضحاً؛ لأنه المقصد الأساسى من النظم الكـريم، وفي بعض المواطن كان خافتاً لا يدرك إلا بعد تأمل وإجالة نظر ، ولعل السبب في هـذا أن التمني في هذا المقام ليس مقصداً أساسياً للنظم الكريم ، وإنما هو غرض ثـانوي ومقصد فرعي يستفاد مع أغراض أخر قد يكون بعضها أوضح منه، ومن ثم فإننـا نرى إطباق العلماء على القول بإفادة (هل) لمعنى التمني في المقام الأول ـ وهو مـا

(١) دلالات التراكيب د/ محمد أبو موسى صـ٢٠١ ٠

يكون فيه مقصداً أساسياً ـــ وفي المقام الثاني نرى بعضهم يشير إلى معنى التمني، وبعضهم لا يذكره بل يكتفي بذكر أوضح المعاني التي تفيدها (هل) .

وسوف أقف مع الآيات التي كان التمني فيها مقصداً أساسياً، ثم أذكر بعض المواطن التي تحتمل فيها (هل) إفادة معنى التمني .

فأما المواطن التي جاءت فيها (هل) مفيدة للتمني ، وكان التمني فيها مقصداً أساسياً؛ ولذا أجمع العلماء عليه ـــ فهي أربعة مواطن ، موطن في الأعراف ، وموطن في غافر ، والثالث في الشورى ، والرابع في الشعراء، وجميعها من القرآن المكي، كما أن جميعها كان التمني فيه على لسان الكافرين أو الظالمين في الآخرة، تأمل قول الله تعالى ـــ في مقام الحديث عن الكافرين ـــ : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١) .

فالحق (عزوجل) يبين في هذه الآية الكريمة أن المشركين سوف يقولون يوم القيامة ـــ عندما ينكشف لهم ما أُخبِروا به في الدنيا من الوعد والوعيد ـــ ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ وهذا خبر مستعمل في الإقرار بخطئهم في تكذيب الرسل، وفيه أيضا إنشاء للحسرة على ذلك وإبداء للحيرة فيما ذا يصنعون؟، ولذلك رتبوا عليه، وفرعوا بالفاء قولهم: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ .

---

(١) سورة الأعراف / ٥٣ .

والاستفهام فيه يجوز أن يكون حقيقياً يقوله بعضهم لبعض لعل أحدهم يرشدهم إلى مُخلّص لهم من تلك الورطة ، وهذا القول يقولونه في ابتداء رؤية ما يهددهم قبل أن يوقنوا بانتفاء الشفعاء المحكي عنهم في قوله تعالى : ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١) .

ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملاً في التمني، ويجوز أن يكون مستعملاً في النفي على معنى التحسر والتندم(٢) .

والاستفهام وإن جازت فيه هذه الأوجه إلا أن أوضحها وأنسبها للمقام حمله على التمني؛ ولذا فقد أشار إليه جمهور المفسرين واقتصر عليه أغلبهم .

وحمل الاستفهام على التمني يوحي بصعوبة الموقف وشدته ، ولذا فهم يتمنون أن يكون لهم شفيع عند الله في هذا اليوم يخلصهم من العذاب الشديد أو يردون إلى الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً .

وطلبهم هذا مستحيل- وهم يعتقدون يقيناً أنه لا سبيل إليه- ولذا فقد حمل الاستفهام على التمني الذي هو لطلب المستحيل أو الممكن البعيد .

وقد أعلنوا عن تمنيهم في صورة الاستفهام ــ وهو لا يكون إلا في الممكن ــ ليوهموا أن طلبهم هذا من الممكنات ، "وفي هذا الإبهام إشارة إلى أن حاجتهم إلى شفيع قد غلبت على نفوسهم، وعظم تعلقها بها، حتى صارت من فرطه تفترض غير الواقع واقعاً، لتستروح لهذا الأمل الموهوم ، وهذا طمع جديد للتمني كما قلنا لا تجده لو أنهم قالوا ليت لنا شفعاء فيشفعوا لنا" (٣) .

---

(١) سورة الشعراء / ١٠٠ .

(٢) راجع التحرير والتنوير جـ٨ صـ١٥٦ .

(٣) دلالات التراكيب صـ٢٠١ .

وقد أشار المتأخرون من البلاغيين إلى سر هذا العدول فقالوا: "والسر في العدول عن (ليت)- التي هي الأصل في التمني- إلى (هل) في نحو هذا الكلام إبراز المُتَمَنَّى في صورة المستفهم عنه، الذي لا جزم بانتفائه لإظهار كمال العناية به حتى لا يستطاع الإتيان به إلا في صورة الممكن الذي يطمع في وقوعه"[1].

وهذه الإشارة توحي بإدراك البلاغيين للأثر النفسي للتمني بـ(هل)، كما توحي بإدراكهم للمغزى البلاغي لإيثار هذه الأداة على أداة التمني الأساسية أو غيرها من الأدوات الفرعية .

ويلاحظ على (هل) هنا أنها دخلت على الاسم في قوله : ﴿ فهل لنا من شفعاء ﴾ ودخلت على الفعل في قوله "أو نرد .." وهي مما له مزيد اختصاص بالفعل، ولعل السر في العدول عن الفعل في الأول وإيثاره في الثاني، هو الدلالة على أن تمني الشفيع أصل، وتمني الرد فرع؛ لأن ترك الفعل إلى الاسم مع استدعاء هل للفعل يفيد ذلك، كما يوحي بسر بلاغي آخر، وهو جعل ما يتجدد حدوثه مما سيوجد، كأنه حاصل موجود اهتماماً بشأنه ، ودلالة على الرغبة فيه بشدة؛ لأن أصل هذا التعبير أن يقال : هل يشفع لنا أحد ! وهذا يفيد الحدوث والتجدد، وهو ما لا يناسب نفوس الطالبين وهم الكافرون؛ لأن نفوسهم تعلقت بالشفاعة تعلقاً قوياً، ومن هنا فقد أبرزها في صورة الحاصل لتوحي بشدة تعلقها فيها، وهذه عادة الإنسان إذا اشتدت رغبته في شيء يقع في المستقبل تخيله واقعاً فعبر عنه بالجملة الاسمية، لأنها أكثر دلالة على طلب حصول المرغوب فيه لدلالتها على الثبوت[2].

---

(١) مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ــ ضمن شروح التلخيص ــ جـ٢ صـ ٢٤٠ .

(٢) راجع تفسير روح المعاني جـ٨ صـ١٢٨ ، وبحوث في علم المعاني د/عبد الحميد العيسوي صـ٩٥ .

على أن (من) فى قوله : "من شفعاء" هى ــ على جميع احتمالات هل ــ لتوكيد العموم فى المستفهم عنه وهو المُتَمَنَّى؛ إذ يوحي بأنهم لا يتمنون شفاعة من توهموهم شفعاء من أصنامهم ؛ إذ قد يئسوا منهم ، بل هم يتمنون أي شفيع يشفع لهم .

وهذا مما يكشف عن حيرتهم ودهشتهم من فرط ما يشاهدون وحسرتهم وندمهم على ما فرطوا .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الآية قد وردت فيها عدة قراءات، وقد كان لهذه القراءات علاقة بأسلوب التمني؛ إذ يختلف على أساسها المُتَمَنَّى أو المطلوب ، ونحاول أن نلم بهذه القراءات، ونبين المُتَمَنَّى على كل قراءة ، وهى كالتالى :

١ ــ قرأ الجمهور "أو نردُ" برفع الدال و"فنعملَ" بنصب اللام، وعلى هذه القراءة فقد عطفت جملة فعلية على جملة اسمية وتقدمهما استفهام فانتصب الجوابان، أي هل شفعاء فيشفعوا لنا في الخلاص من العذاب أو هل نرد إلى الدنيا فنعمل عملاً صالحاً ، وحينئذ فالمسئول أحد الأمرين ــ إما الشفاعة وإما الرد ــ ؛ لأن أحدهما لا يجتمع مع الآخر، فإذا حصلت الشفاعة فلا حاجة إلى الرد، وإذا حصل الرد استغنى عن الشفاعة، وقوله : "فيشفعوا لنا" جواب الأول، وقوله: "فنعمل" جواب الثاني .

٢ ــ وقرأ الحسن فيما نقل الزمخشري بنصب الدال في قوله "أو نردَ" عطفاً على "فيشفعوا لنا" ، أو تكون (أو) بمعنى (حتى أن) أي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل ورفع (فنعملُ) على معنى فنحن نعمل، وحينئذ فالمسئول أن يكون لهم شفعاء ويكون ذلك لأحد أمرين: إما الشفاعة وإما الرد إلى الدنيا .

٣ – وقرأ الحسن فيما نقل ابن عطية وغيره برفعهما وبناء على هـذا فقـد عطف (فنعملُ) على (نردُّ)، والمسئول حينئذ أحد الأمرين : الـشفاعة والـرد إلى الدنيا مع ملاحظة أن قوله : "فنعمل" معطوف على قوله : "أو نرد".

٤ – وقرأ ابن أبي إسحاق وأبو حيوة بنصبهما فنصب "أو نردَ" عطفاً علـى "فيشفعوا لنا" جواباً على جواب ، والمسئول حينئذ أن يكون لهم شفعاء ، إما لأحد الأمرين من الشفاعة في العفو عنهم والرد إن كانت (أو) عاطفة وإما لأمر واحد إذا كانت (أو) بمعنى(إلى أن) ومعناه حينئذ : يشفعون إلى الرد وكذا إذا كانت بمعـنى (حتى إن) أي يشفعون حتى يحصل الرد، وقوله "فنعمل" معطوف على "نرد" مسبب عنه[1].

هذه هي القراءات التي وردت في الآية الكريمة وكانت لها علاقة بالتمني .

والآية الثانية :

يقول الله (عزوجل) فيها حاكيا قول الكـافرين : ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [2].

وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن الكافرين في الآخرة، وقد بيّن الحـق (جل وعلا) فيها أن الكافرين وهم في النار سيعترفون بذنوبهم، واستحقاقهم العذاب الذي يحيط بهم من كل جانب، كما يتمنون الخروج منه بأي سبيل ، ومن الملاحـظ أنهم قد مهدوا لتمنيهم باستعطافهم الله (سبحانه) واعترافهم بذنبهم، فأما استعطافهم

---

(١) راجع هذه القراءات في الكشاف جـ٢ صـ٨٢ ، والبحر المحيط جـ٤ صـ٣٠٦ وروح المعاني جـ٨ صـ١٢٨ .

(٢) سورة غافر / ١١ .

فواضح من ندائهم للحق بوصف الربوبية المُوحي بالإنعام والتفضل واعترافهم بأنه صاحب الفضل عليهم بالإماتة والإحياء ، ويحتمل أن يكون اعترافاً منهم بقدرته ٠

وأما اعترافهم بذنوبهم فهو قولهم: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ ، وقد ذكر الطاهر بن عاشور(رحمه الله)عن هذه الجملة أنها إنشاء إقرار بالذنوب ولذلك جيء فيه بالفعل الماضي كما هو غالب صيغ الخبر المستعمل في الإنشاء مثل صيغ العقود نحو : بعت . والمعنى: نعترف بذنوبنا ٠

وجعلوا هذا الاعتراف ضرباً من التوبة توهماً منهم أن التوبة تنفع يومئذ فلذلك فرعوا عليه قولهم: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [1] الذى يتمنون فيه طريقاً ــ أي طريق ــ يسلكونه ليخرجوا من النار، وهذا الكلام يدل على يأسهم وقنوطهم؛ لأن مثل هذا التركيب لا يستعمل إلا عند اليأس وفرط القنوط تعللاً أو تحيراً ٠

فالاستفهام بحرف (هل) ليس مستعملاً في حقيقته، وإنما هو مستعمل في التمني، قد قالوه من حيرهم ودهشتهم؛ ليتعللوا أو يتلهوا به ٠

والدليل على أن هذا القول قد نشأ من حيرهم ودهشتهم وقد قالوه ليتعللوا أو يتلهوا به ــ أنهم أجيبوا بذكر ما أوقعهم في الهلاك، وهو قوله (تعالى) : ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [2] من غير جواب عن الخروج نفياً أو إثباتاً، ولو كان الاستفهام على حقيقته، والمراد

---

(١) راجع تفسير التحرير والتنوير جـ٢٤ صـ٩٩ ٠

(٢) سورة غافر / ١٢ ٠

منه طلب الخروج ــ نظير قولهم: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١) لكان الجواب نحو قوله : اخسئوا فيها أو لقيل نعم أو لا .

وقد ألمح إلى هذا الفخر الرازي ــ رحمه الله ــ في قوله : "وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط ، واعلم أن الجواب الصريح عنه أن يقال لا أو نعم وهو (تعالى) لم يفعل ذلك بل ذكر كلاماً يدل على أنه لا سبيل لهم إلى الخروج فقال : ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ أى ذلكم الذي أنتم فيه وهو أن لا سبيل لكم إلى خروج قط إنما وقع بسبب كفركم بتوحيد الله تعالى وإيمانكم بالإشراك به ... " (٢) .

وحمل الاستفهام على التمني، هو رأى جمهور المفسرين ، إلا أن الألوسي ــ طيب الله ثراه ــ قد قال ــ بعدما حمل الاستفهام على التمني ــ : " وجُوِّز أن يكونوا طلبوا الرجعة ليعملوا بموجب ذلك الاعتراف لكن مع استبعاد لها واستشعار يأس منها، والجواب إقناط لهم ببيان أنهم كانوا مستمرين على الشرك فجُوزوا باستمرار العقاب والخلود فى النار كما يقتضيه حكمه (تعالى) وذلك جواب بنفى السبيل إلى الخروج على أبلغ وجه، ولا أرى فى هذا الوجه بأساً ويوشك أن يكون هو المتبادر .." (٣) .

وكلام الألوسي يوحي بأنه يجوِّز حمل الاستفهام على حقيقته، غير أن تحليله لمعنى الاستفهام يتفق مع معنى التمني ، بل يكاد يكون هو؛ ومن هنا فإن حمل الاستفهام على التمني ــ فوق أنه رأى الجمهور ــ هو الأنسب بالمقام ــ والسياق.

---

(١) سورة السجدة / ١٢ .

(٢) التفسير الكبير جـ٢٧ صـ٣٧ .

(٣) روح المعانى جـ٢٤ صـ٥٤ .

فهم يتمنون الخروج من النار بأي سبيل، وقد آثروا التمني بـ (هل) لإبراز المُتَمَنَّى المستحيل الحصول في صورة المستفهم عنه غير المجزوم بانتفائه لإظهار شدة الرغبة فيه، وكمال العناية به؛ لأن الاستفهام لا يكون إلا في الممكن الذي لا جزم بانتفائه، ومن ثم فإن (هل) لم تنفك باستعمالها في التمني عن الاستفهام تماماً، وإنما صبغت التمنِّي بصبغتها حيث أوحت بأن ما دخلت عليه وهو المُتَمَنَّى ـ أمر ممكن، وبذلك فإن (هل) قد أعطت للتمني بها مذاقاً مختلفاً عن التمني بغيرها من أدوات التمني الأخرى ؛ إذ يوهم تمني الكافرين بها أن خروجهم من النار أمر ممكن؛ وإن كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن هذا من المستحيلات ، وكأنهم يُروِّحون عن أنفسهم بهذا الأمل الموهوم ولو كان التمني بأداة أخرى لغاب هذا الملحظ .

وتنكير قوله : "خروجٍ" للنوعية تلطفاً في السؤال أي: فهل إلى شئ من الخروج قليل أو كثير ، بطيء أو سريع، أو من مكان فى النار إلى آخر فيها، أو إلى الدنيا أو غيرها؛ لأن أيّ خروج فيه راحة من العذاب سينتفعون به .

والسبيل ، هو الطريق ، واستعير إلى الوسيلة التى يحصل بها الأمر المرغوب ، وتنكير "سبيلٍ" كتنكير "خروج" أي من وسيلة كيف كانت بحق أو بعفو أو بتخفيف أو غير ذلك[1] .

وكل هذه الخصائص قد تعاونت مع التمني على رسم صورة مشهد الكافرين فى النار ، كما أوحت بهول موقفهم وكمال يأسهم وقنوطهم ؛ إذ فى اقتناعهم

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير جـ٢٤ صـ٩٩ وما بعدها ويراجع حاشية الشهاب جـ٧ صـ٣٦٣ ، وروح المعانى جـ٢٤ صـ٥٤ .

بخروج ما دلالة على أنهم يستبعدون حصول الخروج ، وفى هذا كمال حسرتهم والله أعلم بأسرار كتابه .

٣ - وجاءت الآية الثالثة في مشهد أخروي يقول الحق (جل وعلا) فيه : ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۞ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ الآية[1] .

فالظالمون فى هذا المشهد يرون العذاب، ويعرضون على النار أذلاء خاشعين منكسي الأبصار لا يرفعون أعينهم من الخزي والذل بل ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ وهى صورة شاخصة ذليلة، وهم يتساءلون فى ذل وانكسار : ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [2] أي هل إلى رجعة إلى الدنيا من سبيل ؟ .

وليس المقصود من الاستفهام هنا حقيقته؛ لأن حمله على الحقيقة يقتضي أن يكون المستفهم جاهلاً بما يستفهم عنه ، والظالمون هنا يعلمون يقيناً ألا رجوع إلى الدنيا، فحمله على الحقيقة إذا يؤدي إلى التناقض؛ إذ يصير الظالمون جاهلين عالمين .

ولذا كان حمله على التمني أولى وأليق بالمقام والسياق ؛ لأن الظالمين لما رأوا العذاب تمنوا الرجوع إلى الدنيا بأي طريق ليؤمنوا ويعملوا عملاً صالحاً ينجيهم من العذاب الشديد الذى يشاهدونه .

هذا على أن المَرَدّ : مصدر ميمي للرد ، والمراد من الردّ: الرجوع، يقال: ردّه إذا أرجعه .

---

(١) سورة الشورى / ٤٤ ــ ٤٥ .

(٢) مشاهد القيامة فى القرآن لسيد قطب صـ١٧٦ .

ويجوز أن يكون "مردّ" بمعنى الدفع أي هل إلى رد العذاب عنا الذى يبدو لنا سبيل حتى لا نقع فيه[1] .

والتمني على كلا الاحتمالين يوحي بعظم ما يشاهدونه من العذاب وسوء ما يحل بهم ، كما يوحي بحيرتهم ودهشتهم عند مطالعة هذا العذاب الفظيع ، ويؤكد هذا كله قوله (تعالى) : ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي يعرضون على النار حال كونهم خاشعين حقيرين مهانين بسبب ما لحقهم من الذل، فرؤيتهم مقيدة بهذه الحالة التي ترسم صورتهم وتوضح معالمهم فى هذا المشهد .

فأمنيتهم إذن في هذا المشهد هي أن يرجعوا إلى الدنيا للإيمان وعمل الصالحات التي تنجيهم من هول ما يشاهدونه من عذاب محيط، أو أن يدفع عنهم هذا العذاب الذي يعرضون عليه ، وهذا أمر مستحيل — وهم يعلمون هذا — لأن الله قد حكم به عليهم، ولا مرد لحكم الله ، لكنهم طلبوه ليروحوا به عن أنفسهم في هذا الجو الكئيب، الذي يسيطر عليهم، وقد أظهروا أملهم المحال في ثوب الممكن وهو الاستفهام ليصوروا مدى سيطرة هذا الأمل على قلوبهم، ويظهروا أهميته عندهم، ورغبتهم فيه، وإن كان هذا لا يعدو إلا أن يكون من قبيل الوهم، وتخيل أن المستحيل في متناول يده ، والذى أحدث هذا هو (هل)؛ لأن لها دلالة خاصة تميزها عن غيرها من أدوات التمنى؛ إذ تلبس المستحيل ثوب الممكن؛ لأنها فى الأصل لا تستعمل إلا في الممكن؛ — إذ هي أداة استفهام ، والإستفهام لا يكون إلا في الممكن

(١) راجع تفسير روح المعانى جـ٢٥ صـ٥٠ ، والتحرير والتنوير جـ٢٥ صـ١٢٥ .

ـــ وحينما استعملت في التمني؛ فإنها لم تنخلع عن أصلها ولم تنفك منـــها انفكاكـــاً تاماً، بل أعطت للتمني بها مذاقاً جديداً؛ لأنها جعلته في حكم الممكنات.

على أن الظالمين حينما عرضوا رغبتهم هذه في ثوب ممكن، لم يكن عندهم أمل حقيقي في تحقيقها ، وإنما هم يوهمون أنفسهم بهذا ، ويُخَيِّلون لها تحقيق هذا الأمل .

وليس هذا الكلام فى تلك الآية فقط، وإنما هو فيها وفي آية الأعـــراف، الـــتي تمنوا فيها شفيعاً يشفع لهم عند الله، أو الرد إلى الدنيا، وكذلك فى آية غـــافر الـــتى تمنوا فيها الخروج من النار بأي سبيل .

فالمقامات الثلاثة ترشح استعمال (هل) في التمني لإيهام قرب المُتَمَنَّى، والرغبة فيه، وليس في الدلالة على قربه وإظهار الرغبة الحقيقية فيه،وهذا هو المقام الأصـــلي للتمني بـــ (هل)؛ لأن لها مقامين :

١ - المقام الأول الدلالة على قرب المُتَمَنَّى، وإظهار الرغبة الحقيقية فيه .

٢ - المقام الثاني إيهام قرب المُتَمَنَّى والرغبة فيه .

والمقام الثاني هو مقام الآيات الثلاث؛ لأن المُتَمَنَّى مستحيل الحصول ، وهـــم متأكدون من استحالته، لكنهم يوهمون قربه ورغبتهم فيه ليفرجوا عن أنفسهم .

على أن جملة التمني في الآية التي معنا، قد صورت يأس الظالمين وقنوطهم مـــن الخلاص، كما أنها قد أوحت بشدة الموقف وصعوبته ، وقد تآزر معها على إظهـــار ذلك تنكير (مرد) وكذا (سبيل)؛ لأنهما يفيدان المبالغة في شدة العـــذاب وحـــيرة الظالمين؛ لأنهم يتمنون أي مرد بأي سبيل .

وبهذا تتجاوب أجزاء النظم؛ إذ يتناسب عجز الآية بما فيه من مبالغة فى تصوير حالة الظالمين مع صدرها بما فيه من وتعجيب من حالتهم التى تناهت فى الشناعة ، وذلك بغية الاعتبار بهذه الحالة .

فأما عجز الآية فقد وقفنا معه، وأما صدرها، فهو قوله (سبحانه) "وترى" والخطاب فيه إما لسيد المخاطبين (ﷺ) تعجيباً له من حالتهم الشنيعة،وفى هذا من التسلية له على ما لاقاه منهم من التكذيب ما فيه.

وإما لغير معين؛ إذ هو لكل من يتأتى منه الخطاب؛ لأن حالتهم تناهت في الظهور، بحيث لا يختص بها مخاطب دون مخاطب .

والمقصود من هذا أيضا إنشاء التعجيب من حالتهم ، والتنبيه على الاعتبار بها، وفي هذا زيادة تهويل لحالتهم، ومجيء فعل "رأوا العذاب" بصيغة الماضي للتنبيه على تحقيق وقوعه، فالماضي مستعار للاستقبال تشبيهاً للمستقبل بالماضي في التحقيق، والقرينة فعل (ترى) الذى هو مستقبل ؛ إذ ليست الرؤية المذكورة بحاصلة فى الحال فكأنه قيل: لما يرون العذاب[1] .

وقد أعيد فعل "ترى" للاهتمام بهذه الرؤية ومبالغة في تهويل أمر الظالمين .

ومن هذه الآيات التي كان التمني فيها مقصداً أساسياً للنظم الكريم قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾ [2].

---

(١) راجع تفسير البيضاوى جـ٧ صـ٤٢٦ على هامش حاشية الشهاب ، وروح المعانى جـ٢٥ صـ٥٠ والتحرير والتنوير جـ٢٥ صـ١٢٥ .

(٢) سورة الشعراء / ٢٠٠ ــ ٢٠٣ .

والضمير في قوله (تعالى) : ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ راجع إلى القرآن ،أي أن المجرمين يستمرون على كفرهم بالقرآن حتى يروا العذاب الأليم فجأة وبغتة، فيقولوا هل نحن منظرون! أي : هل نحن مؤخرون .

وهم حينئذ لا يقصدون من الاستفهام معناه الأصلي، وإنما هم يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلاً؛ ليعملوا في زعمهم بطاعة الله، وغرضهم من تمنيهم هو إظهار الحسرة والأسف على ما فاتهم من الإيمان بالله (جل وعلا) وعمل الصالحات، وقد آثروا التمني بـ (هل) دون غيرها من أدوات التمني ، لإيهام أن هذه الأمنية التي تمنوها ـ وهي إمهالهم حتى يؤمنوا بالله (سبحانه) ويعملوا صالحاً ـ من الأمور الممكنة القريبة الحصول ، استرواحاً لأنفسهم؛ لأنهم يعلمون جيداً أنهم لن يجابوا إلى هذا لحظة واحدة ؛ إذ لا ملجأ في الآخرة، وإنما قالوا ما قالوا كما يقول المرء المستغيث عند تعذر الخلاص .

والمجيء بالجملة الاسمية للدلالة على الثبات ، أي أنهم تمنوا إنظاراً طويلاً يتمكنون فيه من الإيمان والعمل الصالح .

وقد قال بالتمني في هذه الآية جمع من العلماء[1] ، وهو كما نرى واضح ومناسب للمقام والسياق ؛ ولذا فإني أميل إلى أصالة هذا الغرض واعتباره مقصداً أساسياً من مقاصد النظم الكريم .

وقد قيل : إنهم يطلبون الرجعة حين يغتهم عذاب الساعة فلا يجابون إليها[1]، وذلك على حمل الاستفهام على حقيقته .

---

(١) راجع البحر المحيط جـ٧ صـ٤٣ ، تفسير ابن كثير جـ٣ صـ٣٤٨ والتحرير والتنوير جـ١٨ صـ١٦٥ .

أما الآيات التي أفادت فيها (هل) التمني وكان التمني فيها غرضاً ثانوياً ؛ إذ جاء متوارياً ــ أو تابعاً ــ وراء غرض آخر هو أظهر منه ــ فهي كثيرة ومتعددة ، ويستطيع من عنده دراية بطعوم الكلام وتذوقه أن يتعرف عليها بسهولة؛ لأن رائحة التمني، وطمعه، وبريقه، كل هذه الأمور تشع من الأسلوب بل وتلمس .

وهذه الأغراض التي يأتي معها التمني قد يكون معنى الاستفهام الحقيقي ، وقد يكون الأمر ــ أى الاستفهام المراد به الأمر ــ ، وقد يكون العَرْض ــ وهو الحث على الفعل بلين ورفق ــ ، وأنبه إلى أنني لم أجد إلا هذه الأغراض ، أو بتعبير أدق وأصدق لم يصل فهمي إلى غيرها، وربما يتأتى لغيري غيرها .

ومن الملاحظ على هذه الأغراض ــ بل واللافت للنظر ــ أنها على الرغم من أنها أوضح وأظهر من التمني؛- ولذا فإن الكلام يحمل عليها-إلا أن التمني يعتبر الأساس الذي تبنى عليه هذه الأغراض، التي تعتبر المقصد الأساسي للنظم[٢]،فهو الدافع والسبب الحقيقي للاستفهام الحقيقي في بعض المواطن، وللأمر، والعَرْض في بعضها الآخر .

اقرأ هذه الآيات التالية:

يقول الله تعالى فى حكاية حوار دار بين الضعفاء والذين استكبروا فى ساحة العرض : ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٣] .

---

(١) البحر المحيط جـ٧ صـ٤٣ .

(٢) حينما أقول المقصد الأساسي للنظم فهذا من وجهة نظرنا نحن البشر، أما بالنسبة لمراد الله فالله أعلم بمراده .

(٣) إبراهيم / ٢١ .

ويقول (سبحانه) فى حكاية هذا الحجاج مرة أخرى ، وقد دار في قعر جهنم بين الضعفاء والمستكبرين : ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾(١) .

ويقول (تعالى) حكاية لقول موسى للخضر(عليهما السلام من الله): ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (٢) .

ويقول فى مقام الحديث عن ذى القرنين : ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٣) .

ويقول (سبحانه) فى مقام الحديث عن موسى (عليه السلام) :"

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾(٤) ،

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾(٥) .

ويقول فى مقام الحديث عن وسوسة الشيطان لآدم : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ (٦) .

---

(١) غافر / ٤٧ .

(٢) الكهف / ٦٦ .

(٣) الكهف / ٩٤ .

(٤) طه / ٤٠ .

(٥) القصص / ١٢ .

(٦) طه / ١٢٠ .

ويقول في مقام الحديث عن جهنم في الآخرة : ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (١) .

ويقول سبحانه : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ (٢) .

ويقول عز اسمه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣) .

تجد أن الاستفهام فيها مستعمل في معناه الحقيقي ، وعلى الرغم من هذا فإنك لا تعدم معنى التمني ، بل نحسه ونلمسه ، وندرك أنه الأساس الذي بني عليه كل طلب جاء في هذه الآيات، أو أنه الدافع الحقيقي للطلب الذي تضمنته كل آية من هذه الآيات على حدة .

كذلك اقرأ قوله (تعالى) : ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (٥) وقوله : ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٦) وقوله : ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ (٧) وقوله : ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ (١) وقوله (سبحانه) : ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (٢) .

---

(١) ق / ٣٠ .

(٢) ق / ٣٦ .

(٣) الصف / ١٠ .

(٤) المائدة / ٩١ .

(٥) هود / ١٤ ، والأنبياء / ١٠٨ .

(٦) الأنبياء / ٨٠ .

(٧) الشعراء / ٣٩ .

تجد أن الاستفهام بـ (هل) فيها يفيد الأمر أو العَرْض، وهما قريبان في المذاق.

وعلى الرغم من هذا فإننا نلحظ معنى التمني واضحاً في كل هذه الآيات، إذ ندرك أنه السبب في توجيه تلك الأوامر، وقد ألمح إلى علاقة العَرْض بالتمني الإمام عبد القاهر الجرجاني في قوله : "ومعلوم أن العرض للتمني، من حيث إنك إذا عرضت عليه النزول فقد حثثته عليه، ولا تحث إلا على ما تود وتتمناه ... "[٣].

(ب) متى :

ومن أدوات الاستفهام التي أفادت التمني في القرآن الكريم (متى) ، وكان ذلك في آية واحدة، وهي قوله (تعالى) : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [٤] .

وهذه الآية ـ كما ذكر قتادة وأكثر المفسرين ـ نزلت في غزوة الخندق، حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة والحر والبرد وسوء العيش وأنواع الشدائد ، وكان كما قال الله (تعالى) : ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ وقيل: نزلت في غزوة أحد، نظيرها في آل عمران : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ .

---

(١) الصافات / ٥٤ .

(٢) القمر / ١٥ ، ١٧ ، ٢٢، ٥١ .

(٣) المقتصد في شرح الإيضاح ١٠٦٤/٢ تح : د. كاظم بحر المرجان ط : دار الرشيد .

(٤) البقرة / ٢١٤ .

وقالت جماعة : نزلت الآية تسلية للمهاجرين حين تركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله (ﷺ) ، وأسر قوم من الأغنياء النفاق ، فأنزل الله (تعالى) تطيباً لقلوبهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ ...﴾ (١).

وسواء أنزلت هذه الآية في هذا الشأن أم في ذلك، فإنها لإنكار حسبان دخول الجنة من غير ابتلاء وتمحيص ، وفي ذلك تشجيع للرسول (ﷺ) والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب، وأنكروا آياته، وأظهروا عداوتهم له.

كما أن في ذلك أيضا إعلاماً من الله (سبحانه) للرسول (ﷺ) وللمسلمين بأنه لا يضرهم مخالفة أعدائهم لهم؛ إذ قد اختلفت الأمم السابقة على أنبيائها لكنهم صبروا حتى آتاهم نصر الله.

والمثل : الشبه، وهو هنا مستعار لحال غريبة، أو قضية عجيبة لها شأن ، فالمراد من (مثل الذين خلوا) حالتهم التي هي مثل في الشدة والفظاعة .

وقد بين حالتهم تلك بقوله: ﴿مسّتهم البأساء والضراء وزلزلوا﴾ فهذا القول بيان للمثل؛ إذ هو استئناف بياني؛ كأن قائلاً قال: كيف كان ذلك المثل؟ فقيل: مستهم البأساء والضراء ، والمس هنا معناه الإصابة ، فهو مجاز ، وهو حقيقة في المس باليد .

وقوله : "وزلزلوا .." أي وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع، والتضعيف في الفعل دال على تكرر الفعل ، وبني الفعل للمفعول وحذف الفاعل للعلم به أي وزلزلهم أعداؤهم .

---

(١) تفسير القرطبي جـ٣ صـ٣٣ .

وحتى غاية للمس والزلزال، أي بلغ بهم الأمر إلى غاية يقول عندها الرسول والذين معه، "متى نصر الله" .

و"متى" أداة استفهام يسأل بها عن الوقت، وهي هنا لطلب النصر وتمنيه بعد استطالة زمان الشدة والابتلاء ، وحمل الأسلوب على التمني يدل على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العظم؛ لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم ، فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا ، كان ذلك هو الغاية القصوى في الشدة[1].

على أن استطالة الرسل لزمان الشدة واستبطاءهم لنصر الله ليس شكاً وارتياباً فيهما ، وإنما هو بحسب العادة .

إذا فالتمني الذي تفيده (متى) في الآية الكريمة ـ والذى أشار إليه جمع من المفسرين ـ له دخل فى تصوير الشدة والمحنة اللتين تعرضت لهما الرسل من قبل الرسول الكريم؛ لأنه جعل نصر الله بمنزلة البعيد أو المستحيل الوقوع ، وهذا من شأنه أن يهول ويبالغ فى أمر الشدة بما يناسب مقام تشجيع المسلمين؛ لأن تقدير الآية : "هكذا كانت حالتهم ـ في الشدة ـ إلى أن أتاهم نصر الله ولم يغيرهم طول البلاء عن دينهم ، وأنتم يا معشر المسلمين، كونوا على ذلك، وتحملوا الأذى والمشقة في طلب الحق، فإن نصر الله قريب، لأنه آت، وكل ما هو آت قريب[2].

ولما بلغت الشدة بالرسل إلى هذه الدرجة القصوى، قيل لهم : "ألا إن نصر الله قريب" إجابة لهم إلى طلبهم وتطييباً لأنفسهم بإسعافهم بمرامهم، وهذا الكلام

---

(١) راجع الكشاف جـ١ صـ٢٥٥ ، والبحر المحيط جـ٢ صـ١٤٠ .

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ٦ صـ١٨ .

مستأنف بقرينة افتتاحه بـ(ألا) ، وهو بشارة من الله (تعالى) للمسلمين بقرب النصر بعد أن حصل لهم من قوارع صدر الآية ما ملأ القلوب رعباً ، والقصد منه إكرام هذه الأمة بأنها لا يبلغ ما يمسها مبلغ ما مس من قبلها ، وإكرام للرسول (ﷺ) بألا يحتاج إلى قول ما قالته الرسل قبله، من استبطاء نصر الله بأن يجيء نصر الله لهاته الأمة قبل استبطائه وهذا يشير إلى فتح مكة"[1]، وفى هذه الجملة من وسائل التوكيد ما يدل على تحقق مضمونها وتقريره؛ إذ قد صدرت بحرف التنبيه (ألا) ، وجاء فيها حرف التأكيد (إن)، كما أن إيثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها لهذا الغرض .

(جـ) أين :

ومن أدوات الاستفهام التى استعملت في إفادة معنى التمني (أين) وذلك في قوله (تعالى) : ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [2] .

وقوله : ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ قرأه الجمهور بكسر راء (بَرِق)، ومعناه تحير فزعا من قولهم بَرِق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره وبهت ، وهذا على سبيل المجاز العقلي حيث أسند ما للكل للجزء .

وقرأه نافع وأبو جعفر بفتح الراء (بَرَق) ، من البريق بمعنى اللمعان، أى لمع البصر من شدة شخوصه ، وإسناده إلى البصر حينئذ حقيقة، ومآل معنى القراءتين واحد وهو الكناية عن الفزع والرعب .

---

(١) التحرير والتنوير جـ٢ صـ٣١٦ .

(٢) القيامة / ٧ ــ ١٠ .

و"خسف القمر" أى: ذهب ضوؤه ، و"جمع الشمس والقمر" بأن يطلعهما الله (تعالى) من المغرب وقيل جمعا فى ذهاب الضوء ، وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران فى النار ، وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف[١] .

ومن الملاحظ أن هذه الآيات تعرض لمشهد من مشاهد الآخرة، وقد صدر المشهد بـ(إذا) الشرطية لتحقيق وقوعه ، وبني الفعل (جمع) للمفعول للعلم بالفاعل وهو الله (عزوجل)؛ إذ لا فاعل لهذه الأفعال في هذا الزمن إلا هو .

وقد كشف هذا المشهد عن بعض أهوال القيامة المرعبة ، "فالبصر يخطف، والقمر يخسف، والشمس تقترن بالقمر بعد افتراق؛ لأن نظام الكون قد انفرط ، وفي وسط هذا الانقلاب والتغير يقف الإنسان الذى أنكر البعث والقيامة مذعوراً مرعوباً"[٢] متسائلاً ـ وقد سيطر الخوف والهلع واليأس عليه ـ : أين المفر ؟ أي: ليت لي فراراً إلى مكان نجاة .

والاستفهام ليس على حقيقته، وإنما هو لطلب الفرار وتمنيه، وحمله على التمني ـ مع اتفاقه للمقام والسياق ـ هو رأي الجمهور من المفسرين؛ لأنه يقول هذا قول اليائس من وجدانه المُتمَنّى له .

والمَفَر : بفتح الميم والفاء هو الفرار ، فهو مصدر ، وهذا هو قول جمهور أهل اللغة.

وبكسر الفاء ـ وقد قرئ بهذا ـ هو موضع الفرار ، وقد جُوِّز أن يكون أيضا مصدراً، ونظيره المرجع[٣]، وإن كان الفخر الرازى قد ضعفه[١].

---

(١) راجع الكشاف جـ٤ صـ١٩١ وأبا السعود جـ٢ صـ٧٩٦ .

(٢) مشاهد القيامة لسيد قطب صـ٧٨ والتحرير والتنوير جـ٢٩ صـ٣٤٦ .

(٣) راجع الكشاف جـ٤ صـ١٩١ ، والبحر جـ٨ صـ٣٨٦ والبيضاوى جـ٨ صـ٢٨٢ على هامش حاشية الشهاب .

وذكر القرطبي أن متعلق الفرار يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون من الله استحياءً منه. والثاني: أن يكون من جهنم حذراً منها[٢] ، أي أنه يطلب الفرار ويتمناه إما استحياءً من الله ، وإما خوفاً من العذاب ، لكني أميل إلى إرادة الوجهين معاً ؛ لأن الإنسان يقف وسط هذه المشاهد المفزعة، التي تشترك فيها حواس الإنسان مع المشاهد الكونية مفزوعاً متمنياً أن لو وجد مفراً يفر إليه، أو ملجأ يعتصم به، وهو يائس من تحقيق هذه الأمنية؛ لأنه لا ملجأ يومئذ من الله، وما دفعه إلى طلب هذه الأمنية إلا الخوف من العذاب، والاستحياء من الله .

وقد أوحى تمنيه الفرار بالمبالغة في فظاعة المشهد وشدته؛ لأنه يتمنى الفرار منه، وهو متأكد من عدم إجابته فى هذا الطلب ، ولذا فإن تمنيه ليس رغبة حقيقية فى تحقيق المُتَمَنَّى، وإنما هو نفثه يائس ضائع يروح بها عن نفسه ، كما توحي عبارته بالحسرة والندم على ضياعه فى الآخرة .

وإيثاره "المفر" على الفرار لإيهام رغبته فى التخلص من هذا الموقف الشديد ؛ لأن المفر يدل على الفرار بسرعة وقوة ، ولذا فلم يعبر بالفرار استطالة لزمنه ، كما أن كلمة الفرار بما مد لا يتناسب مع نفسه المقطوع من كثرة التحسر والندم .

هذا وقد ذكر الشهاب ــ وتبعه الألوسي ــ أن هذا الاستفهام يجوز أن يحمل على حقيقته[٣]، ومعنى هذا أن الإنسان لدهشته وتحيره يتوهم أنه سيجاب فى طلبه؛ ولذا فهو يستفهم عن فرار يخلصه أو ملجأ يعتصم به، وقد رُدّ عليه بقوله : ﴿كَلَّا

---

(١) التفسير الكبير جـ٣٠ صـ١٩٥ .

(٢) تفسير القرطبي جـ١٩ صـ٩٧ .

(٣) حاشية الشهاب جـ٨ صـ٢٨٢ وروح المعاني جـ٢٩ صـ١٧٦ .

وَزَرَ ۞ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ (١) أي لا مفر، فـ(كلا) ردع عن طلب الفرار وتمنيه ، وهذا الرد من جانب الله (تعالى)، يقال للقائل أين المفر يوم يقوله، أو هـو مقول اليوم على معنى ليرتدع عن طلب الفرار وتمنيه ذلك اليوم ، وهو نظير قولـه (تعالى) : ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ (٢) أي ليس لكم مكان تتنكرون فيه .

ويحتمل أن هذا الرد من تمام قول الإنسان، كأنه بعد أن يقول أين المفر؟ يعود على نفسه فيستدرك ويقول كلا لا وزر(٣) .

٢ - دلالة الأمر والنهي على التمني :

ذكر معظم المتأخرين من البلاغيين أن الأمر والنهي إذا توجّها إلى ما لا يعقل، خرجا إلى معنى التمني،وذلك مثل قول عنترة العبسي:

يا دَارَ عَبْلَةَ بالجِوَاء تكلّمِي   وعِمِي صَباحاً دَارَ عَبْلَةَ واسْلَمِي

وقول امرئ القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي   بِصُبْحٍ ومَا الإِصْبَاحُ مِنكَ بِأَمْثَلِ

وقول الخنساء :

أَعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا   أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى ؟

ففعل الأمر في هذه الأبيات وهو: تكلمي وعمي واسلمي في البيـت الأول ، وانجلي في البيت الثاني ، وجودا في البيت الثالث وكذا النهي في قوله : ولا تجمدا في

---

(١) سورة القيامة / ١١ ــ ١٢ .

(٢) سورة الشورى / ٤٧ .

(٣) راجع البحر المحيط جــ٨ صــ٣٨٦ ، وروح المعاني جــ٢٩ صــ١٧٦ .

البيت الثالث ، كل هذا مستعمل في إفادة معنى التمني؛ لأن الأمر والنهي فيه متوجه إلى ما لا يعقل .

أ ـ إفادة الأمر للتمني :

ومن خلال النظر فى القرآن الكريم نجد أن فعل الأمر قد أفاد التمني كثيراً، وذلك حينما يكون المأمور به مستحيلاً، أو بعيداً من وجهة نظر الآمر مع الرغبة فيه، ومما أفاد فيه فعل الأمر معنى التمنّي قوله (تعالى): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ[1]﴾ .

وبالنظر في سياق هذه الآية الكريمة نجد أن الحق (جل وعلا) لما فرض القتال قبل هذه الآية بقوله : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [2] ، ثم أمرنا بالإنفاق فيه لما للإنفاق من التأثير فى كمال المراد بالقتال فى قوله : ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ...﴾ [3]

ذكر قصة بني إسرائيل، وهى أنهم لما أمروا بالقتال نكثوا وخالفوا فذمهم الله (تعالى) عليه ونسبهم إلى الظلم ؛ إذ قال في تذييل الآية التي معنا: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وهذا وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد .

---

(١) سورة البقرة / ٢٤٦ .

(٢) البقرة / ٢٤٤ .

(٣) البقرة / ٢٤٥ .

والمقصود من هذا أن لا يقدم المأمورون بالقتال، من هذه الأمة على المخالفة، وأن يكونوا مستمرين فى القتال مع أعداء الله (تعالى) [١] أي أن المقصود هو الترغيب فى باب الجهاد .

وقد جاء في سياق الآية التي معنا قوله (تعالى) على لسان الملأ من بني إسرائيل: "ابعث لنا ملكاً" أي أقم لنا أميراً .

والملأ : هم وجوه القوم وأشرافهم ، فهو اسم جماعة لا واحد له من لفظه ، وإنما سُمِّي الأشراف بذلك ؛ لأن هيبتهم تملأ القلوب مهابة والعيون حسناً وبهاءً أو لأنهم يتمالؤن أي يتعاونون بما لا مزيد عليه[٢]، وهو على الأول مجاز مرسل بعلاقة المسببية وعلى الثاني حقيقة .

فهم يطلبون من نبيهم أن يُؤَمِّر عليهم أميراً ينقادون برأيه فى الحرب، وطلبهم هذا على سبيل التمني، أي أن فعل الأمر "ابعث" مستعمل في التمني، وحمله على إفادة معنى التمني يتناسب مع سياق الآيات والمقصود منها؛ إذ يوحي التمني بإظهار رغبتهم في القتال؛ لأنهم قد طلبوا من نبيهم ــ على سبيل التمني ــ أن يقيم عليهم ملكاً ، ورتبوا على بعثه أن يقاتلوا وكانوا قد ذُلُّوا وسُبِي ملوكهم ، فأخذتهم الأنفة ، ورغبوا في الجهاد، فلما كتب عليهم تركوه، ويفيد هذا المبالغة فى بيان تخلفهم ؛ لأنهم قد تمنوا القتال أي طلبوه عن حب ورغبة ، فلما كتب عليهم تركه أكثرهم وصبر الأقل، فنصرهم الله (تعالى) ، وفى هذا تشنيع على من تخلف عن القتال بعد تمنيه .

---

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٦ صـ١٤٤ .

(٢) الفتوحات الإلهية جـ٢ صـ٤٨٥ ، وروح المعانى جـ٢ صـ١٦٤ .

يقول القرطبي ــ طيب الله ثراه ــ : " وهذا شأن الأمم المتنعمة المائلة إلى الدعة، تتمنّى الحرب أوقات الأنفة، فإذا حضرت الحرب كعت[1] وانقادت لطبعها،وعن هذا المعنى نهى النبي (ﷺ) بقوله : "لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا" رواه الأئمة[2] .

والغاية من كل هذا هو ترغيب أصحاب النبي ﷺ فى الجهاد في سبيل الله، وتحذيرهم من سلوك مسلك هذه الطائفة من بني إسرائيل ، وقد رأينا أن حمل فعل الأمر (ابعث) على معنى التمني يتناسب مع هذا الغرض المقصود من النظم الجليل .

ومن الآيات التى أفاد فيها فعل الأمر معنى التمنّي، قوله (تعالى): ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[3] .

وهذه الآية ــ كما نرى ــ تعرض لمشهد من مشاهد الآخرة، يحكي فيه الحق ــ جل وعلا ــ نداء أهل النار على أهل الجنة ــ بعد أن استقر بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار ــ بصوت ملؤه الذلة، والأمل، والاستجداء ، يطلبون فيه منهم أن يفيضوا عليهم من الماء، أو مما رزقهم الله،﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ .

---

(١) يقال : رجل كع وكاع إذا جبن عن القتال. وقيل هو الذى لا يمضى فى عزم ولا حزم وهو الناكص على عقبيه .

(٢) القرطبى جـ٣ صـ٢٤٤ .

(٣) سورة الأعراف / ٥٠ .

وهذا الطلب قد اختلف المفسرون حوله، هل كان مع رجاء وطمع في حصول ذلك، أم كان مع اليأس والحيرة ؟

فذهب بعض المفسرين إلى أن طلب أهل النار من أهل الجنة أن يفيضوا عليهم شيئاً من الماء، أو مما رزقهم الله ، كان عن رجاء وطمع فى حصول ما يطلبون؛ إذ قد طمع أهل النار بفرج بعد اليأس ، وقد ذكر من ذهب إلى ذلك أن كلام ابن عباس يدل عليه .

لكن أغلب المفسرين قد ذهب إلى أن طلبهم هذا كان مع يأس من الإجابة؛ لأنهم قد علموا دوام عقابهم ، وأنه لا يفتر عنهم، لكنهم طلبوا ما طلبوا حيرة فى أمرهم كما يفعل المضطر واليائس، الذي يطلب الشيء وهو متأكد من عدم حصوله، وإنما يطلبه كما يقال في المثل: الغريق يتعلق بالزبد ، وإن علم أنه لا يغيثه[1].

وما ذهب إليه جمهور المفسرين — من حمل فعل الأمر على التمنّي — هو ما تستريح له النفس ؛ لأنه — فوق أنه رأي الجمهور — يتناسب مع ما يعطيه سياق الآيات من المبالغة في شدة عذاب أهل النار؛ إذ يوحي بالمبالغة في حصول العطش الشديد ، والجوع الشديد لهم؛ لأنهم يطلبون الماء لشدة التهابهم واحتراقهم ؛ ولأن من عادته إطفاء النار، ويطلبون الطعام؛ لأن البنية البشرية لا تستغني عنه؛ إذ هو مقويها أو لرجائهم الرحمة بأكل الطعام[2].

---

(١) التفسير الكبير جـ١٤ صـ٧٦ وما بعدها .

(٢) البحر المحيط جـ٤ صـ٣٠٥ .

وفعل الفيض حقيقته سيلان الماء وانصبابه بقوة ، ويستعمل مجازاً في الكثـرة، ومنه ما في الحديث : "ويفيض الماء حتى لا يقبله أحد" ويجيء منه مجازاً في السخاء ووفرة العطاء، ومنه ما في الحديث أنه ﷺ قال لطلحة : "أنت الفيَّاض" .

والفيض في الآية إذا حمل على حقيقته كان أصحاب النار طالبين على وجه التمني من أصحاب الجنة، أن يصبوا عليهم ماء ليشربوا منه، وعلى هذا المعنى حمله كثير من المفسرين[1] .

وقد آثروا التعبير بافيضوا هنا ؛ لأن التعبير به أمكن من اسقونا؛ لأن "أفيضوا" تقتضي التوسعة كما يقال : أفاض الله عليه نعمة أى وسعها[2] .

ويحمل قوله (تعالى) : ﴿أومما رزقكم الله﴾ حينئذ على أن المراد منه سائر الأشربة ليلائم معنى الإفاضة .

ويجوز أن يراد به الأطعمة، على أن يقدر فى المعطوف عامل يناسبه، تقديره : اعطونا ، أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام أو الفاكهة ونظيره قول الشاعر :

عَلَفْتُهَا تِبناً وَمَاءً بَارِداً حتَّى شَبَتْ هَمَّالَةً يُمْنَاهَا

تقديره: علفتها تبناً وسقيتها ماءً بارداً، وتكون (من) على هذا الوجه بمعنى بعض أو صفة لموصوف محذوف تقديره : شيئاً من الماء؛ لأن : "أفيضوا" يتعدى بنفسه على أن العطف حينئذ يكون من باب عطف الجمل[1] .

ويجوز أن يُؤَوَّل العامل الأول ــ وهو فعل الأمر أفيضوا ــ بما يلائم المتعاطفين ــ ، وذلك بحمله على المعنى المجازى، وهو سعة العطاء والسخاء ــ أو يُضَمَّن ما

---

(١) التحرير والتنوير جـ٨ صـ١٤٨ .

(٢) البحر المحيط جـ٤ صـ٣٠٥ .

يعمل في الثاني أو يجعل ذلك من المشاكلة[٢] وفى البحر أن التضمين أصح من الإضمار[٣] .

ويكون العطف حينئذ من باب عطف المفرد على المفرد .

وفى الآية على هذا دليل على نهاية عطشهم وشدة جوعهم؛ لأنهم يطلبون على وجه التمنّي الماء والطعام ، وفي هذا إيحاء بشدة عذابهم .

و(أو) بمعنى الواو لقوله "حرمهما" أو هي على بابها من اقتضائها لأحد الشيئين إما تخييراً أو إباحةً أو غير ذلك مما يليق بها .

وقد يقال على هذا كيف قيل حرمهما، فأعيد الضمير مثنى وكان من حق من يقول إنها لأحد الشيئين أن يعود مفرداً على ما تقرر غير مرة، وأجابوا بأن المعنى حرم كلا منهما أو كليهما[٤] .

والتحريم فى قوله : ﴿قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ مستعمل فى معناه اللغوي وهو المنع كقول عنترة :

حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُم

وقول الآخر :

حَرَامٌ عَلَى عَيْنِي أَنْ تَطْعَمَا الْكَرَى

---

(١) راجع الكشاف جـ٢ صـ٨٢ والتحرير والتنوير جـ٨ صـ١٤٨ .

(٢) المصادر السابقة وروح المعانى جـ٨صـ١٢٦وأبوالسعود جـ٢ صـ٢٥٤

(٣) البحر المحيط جـ٤ صـ٣٠٥ .

(٤) الفتوحات الإلهية جـ٢ صـ١٤٧ .

ومنه قوله(تعالى): ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[١].

واعتبره بعضهم أنه مستعمل في لازم معناه، وهو المنع، لانقطاع التكليف حينئذ[٢].

ولعل هؤلاء قد نظروا إلى حقيقته الشرعية، ونظر أصحاب القول الأول إلى معناه اللغوى .

وقد فصلت جملة "قالوا .." لأن بينها وبين الجملة السابقة شبه كمال اتصال ؛ إذ هي استئناف مبني على سؤال أثارته الجملة الأولى: كأنه قيل فماذا قالوا لهم ، فقيل : قالوا إن الله حرمهما على الكافرين . أي منعهما منهم منعاً كلياً فلا سبيل إلى ذلك قطعاً[٣].

وقد أفادت هذه الجملة أشد الإقناط لهم .

ومن هذه الآيات أيضا قوله (تعالى) ــ على لسان الكافرين حينما تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ــ : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [٤] فهم يطلبون الخروج من النار على وجه التمني ، وقد حمل طلبهم على التمني؛ لأنهم متأكدون من أنهم لن يجابوا على طلبهم ؛ إذ قد كتب الله عليهم الخلود في النار .

---

(١) الآية رقم ٩٥ من سورة الأنبياء ، وراجع التحرير والتنوير جـ٨ صـ١٤٨ والبحر المحيط جـ٤ صـ٣٠٥ .

(٢) الفتوحات الإلهية جـ٢ صـ١٤٧ .

(٣) راجع تفسير أبي السعود جـ٢ صـ٢٥٤ .

(٤) سورة المؤمنون / ١٠٧ .

وقد أفاد تمنيهم هذا المبالغة فى شدة عذاب النار ؛ لأنهم يتمنون الخروج منه ثم العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات، وهم يائسون من تحقيق هذه الأمنيـــة، وإنمـــا يطلبونها على سبيل العبث والاسترواح .

أي أنهم لا يطلبون ذلك لرغبة حقيقية فى الخروج ـــ إذ اليأس مسيطر علـــيهم ـــ وإنما ليستغيثوا ويروحوا عن أنفسهم .

ومن ثم فإن حمل فعل الأمر (أخرجنا) على إفادة معنى التمني يصور مـــوقفهم تمام التصوير؛ إذ يبوح بشدة العذاب الذى يقاسونه.تأمل حالتهم وهم فى وسط النار وهى تلفح وجوههم وهم فيها كالحون وهم ينادون بصوت مكروب يقطر حـــسرة وأسى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ يتمنون الخروج من النار بأي وضع من الأوضاع، وقد مهدوا لهذا التمني بإقرارهم بذنبهم قبل هذه الآية:﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ؛ لأن الاعتراف بالذنب كثيراً ما يهون به المُذنِب غضب من أذنـــب إليه، فهو مسكن لنار الغضب عليه[1].

كما أن نداءهم الحق (جل وعلا) بوصف الربوبية ـــ الداعي لنزول العطف والرحمة عليهم ـــ مُمَهد هو الآخر لتمني الخروج من النار ومؤكد له .

ثم إن مجيء جملة الشرط بعد جملة التمنّي مرغب في تحقيق هذه الأمنية وهـــي : قوله تعالى : ﴿فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ أي إن عدنا إلى الكفر وعمل المعاصي فإنا متجاوزون للحد مستحقون للخلود في النار ، كما أن إيثارهم لأداة الـــشرط (إن) المفيدة للشك متناسب مع التمني قبله؛ إذ توحي بيأسهم وقنوطهم من تحقيـــق أمنيتهم، وهي الخروج من النار ؛ لأنها تفيد الشك في العودة إلى الدنيا .

---

(١) راجع روح المعانى جـ١٨ صـــ٦٨ .

وقد حذف متعلق "عدنا" لظهوره من المقام؛ إذ كان إلقاؤهم في النار لأجل الإشراك والتكذيب كما دل عليه قولهم : ﴿وكنا قوما ضالين﴾ والظلم في قولهم "فإنا ظالمون" المراد به ظلم آخر بعد ظلمهم الأول وهو الذي ينقطع عنده سؤال العفو[1].

وقد أجابهم الحق (جل وعلا) بقوله : ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ وهذا الجواب مقنط لهم أشد الإقناط، كما أن فيه إهانة لهم وتحقيراً من شأنهم ؛ إذ معناه: ذلوا فيها وانزجروا كما تزجر الكلاب إذا زجرت .

وقد قيل إن هذا آخر كلام يتكلم به الكافرون، ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب، لا يُفْهِمُون ولا يُفْهَمُون، ورده أبو السعود بمجيء الخطابات لهم بعد ذلك[2].

وفي السياق نفسه جاء قوله (تعالى) ــ قبل هذه الآية بقليل ــ : ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ۞ لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[3].

فقوله:"ارجعون" فعل أمر مستعمل في التمني؛لأن ما يطلبه الكافر عند الاحتضار من الرجوع إلى الدنيا لعمل الصالحات، أمر مستحيل لا يتحقق له، ولذا فهو يطلبه طلب اليائس منه ليروح عن نفسه، وربما توهم أن تحقيق هذا الأمر ــ

---

(١) التحرير والتنوير جـ١٨ صـ١٢٥ .

(٢) أبو السعود جـ٤ صـ٦٥ .

(٣) سورة المؤمنون / ٩٩ ــ ١٠٠ .

وهو الرجوع إلى الدنيا ـــ ميسور فتمناه نظراً لأن هذا الموقف هو أول موقف يتمنى فيه الكافر أُمنية .

وقد جاء الرد عليه مقنطاً له قاطعاً لآماله وأطماعـــه : ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ .

ومن هذه الآيات أيضا قوله (تعالى): ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ (١) .

فالذي يقرأ سياق هذه الآية يشعر بأن الأمر فى قوله (تعالى) ـــ علـــى لســـان المجرمين ـــ : ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ مراد منه التمني؛ لأن الكفار حين يشتد بهم عذاب النار يُنَادُون ـــ من شدة العذاب ـــ بصوت مخنوق حسير على مالك ، وهو الملك الموكل بجهنم، ويطلبون منه أن يقضي عليهم ربه، والقضاء بمعـــنى الإماتـــة، فهـــم يسألون الله (سبحانه) أن يميتهم ليستريحوا من الإحساس بالعذاب، وطلبـــهم هـــذا ليس حقيقياً ـــ لأنه لا سبيل إلى تحقيقه ـــ،وإنما هو على وجه التمني: ومما يؤيد هذا قوله(تعالى)فى السياق نفسه قبل هذه الآيـــة:﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾(٢) ، والمُـبْلِس اليـــائس الساكت سكوت يائس من فرج(٣).

إنهم لا يصيحون فى طلب النجاة ولا في طلب الغوث – فهم مبلسون يائسون –، إنما يصيحون في طلب الهلاك ، الهلاك السريع الذى يريح ، وحسب المنايـــا أن يكن أمانيناً .

---

(١) سورة الزخرف / ٧٧ .

(٢) الزخرف / ٧٤ ـــ ٧٥ .

(٣) المفردات مادة بلس، والتفسير الكبير جـــ٢٧ صـــ١٩٤ .

وإن هذا النداء ليلقي ظلاً كثيفاً للكرب والضيق، وإننا لنكاد نرى من وراء صرخة الاستغاثة نفوساً أطار صوابها العذاب، وأجساماً تجاوز الألم بها حد الطاقة، فانبعثت منها تلك الصيحة المريرة!

﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ (١)

وقد حكى الحق(جل وعلا) نداءهم بصيغة الماضى "ونادوا" مع أنه مما سيقع يوم القيامة، لتنزيل الفعل المستقبل منزلة الماضي في تحقيق وقوعه، تخريجاً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر نحو قوله تعالى : ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾(٢) وقوله : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (٣) وتوجيه الأمر إلى الغائب فى قوله : " ليقض علينا ربك " على معنى التبليغ: أي سل ربك أن يقضي علينا .

ويجوز أن يكون من تنزيل الحاضر منزلة الغائب لاعتبارٍ مَا مِثْل التعظيم في نحو قول الوزير للخليفة: لير الخليفة رأيه ... (٤).

على أن وصفهم بالإبلاس ــ وهو اليأس ــ لا ينافي طلبهم هذا ؛ لأنه جزار وتمن للموت من فرط الشدة ، والتمني ــ كما يقولون ــ لا يجري إلا في المحالات والأمور البعيدة .

---

(١) الظلال لسيد قطب جـ٥ صـ٣٢٠٢ .

(٢) النحل / ١ .

(٣) الزمر / ٦٨ .

(٤) راجع التحرير والتنوير جـ٢٥ صـ٢٦٠ .

وقد كشف الزمخشري (طيب الله ثراه) عن رفع هذا التعارض، فبين أنهم يعيشون فى الآخرة أزمنة متطاولة وأحقاباً ممتدة، وتختلف بهم الأحوال، فيسكنون أوقاتاً لغلبة اليأس عليهم، ويستغيثون أوقاتاً لشدة ما بهم[1] .

كما تعرض الفخر الرازي (رحمه الله) لبيان أوجه هذا الطلب، فذكر أن بعضهم حمله على التمني،وحمله بعضهم على وجه الاستغاثة، وإلا فهم عالمون بأنه لا خلاص لهم عن ذلك العقاب ، وقيل لا يبعد أن يقال إنهم لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا تلك المسألة فذكروه على وجه الطلب[2] .

فقد ذكر لطلبهم القضاء عليهم ثلاثة أوجه: التمني والاستغاثة والطلب الحقيقي .

وعلى الرغم من أن مآل هذه الأوجه واحد إلا أن الجمهور قد حمله على التمني، ومما يؤيد حمل الجمهور أن التمني يوحي بالوجهين الآخرين، ولا يتعارض معهما ؛ لأن التمني فيه استغاثة ومبالغة في الطلب.

ويفيد التمني المبالغة فيما هم فيه من العذاب؛ لأن الحال التي يتمنى فيها الموت شر من الموت كما يوحي بحسرتهم وندمهم على ما فاتهم من الأعمال الصالحة.

وقد أجابهم المَلك بقوله: "إنكم ماكثون" أي: خالدون في عذاب النار، لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره .

---

(١) الكشاف جـ٣ صـ٤٩٦ .

(٢) التفسير الكبير جـ٢٧ صـ١٩٤ وما بعدها .

وفى هذا الجواب تقنيط، ونكاية لهم فوق ما هم فيه؛ لأنه جواب جامع لنفي الإماتة ونفي الخروج، وهو قاطع لما قد يسألونه من بعد[١]، ويؤدي هذا إلى زيادة غمهم ومضاعفة حزنهم وكربهم ٠

وذكر بعض الأجلة ــ منهم الزمخشري ــ أن في رد الملك عليهم استهزاءً واستخفافاً بهم؛ لأنه أقام المكث مقام الخلود، والمكث يشعر بالانقطاع ؛ لأنه كما قال الراغب: ثبات مع انتظار[٢]، ويمكن أن يكون وجه الاستهزاء التعبير بماكثون، من حيث إنه يشعر بالاختيار أي أنكم خالدون في النار بإرادتكم واختياركم[٣] ٠

وقول مالك في جوابهم "إنكم ماكثون" لا ينافيه يأسهم ؛ لأنه لا يلزم الملك العلم بخفي أحوالهم مع أنه قد يقوله ــ على فرض العلم بيأسهم ــ نكايةً لهم وتقنيطاً مع أنه مبني على أنه جواب[٤] ٠

ثم لما بين الحق جل وعلا جواب مالك عليهم ، ذكر بعده ما هو كالعلة لذلك الجواب فقال : ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ وهذا الخطاب من جهته (تعالى)، وفيه توبيخ وتقريع لهم ، كما أنه مقرر كجواب مالك ومبين لسبب مكثهم ، ولا مانع من خطابه سبحانه الكفرة تقريعاً لهم ٠

وذكر بعض المفسرين أنه من كلام بعض الملائكة عليهم السلام[١]، والأول أوفق وأليق ٠

---

(١) راجع التحرير والتنوير جـ٢٥ صـ٢٦١ ٠

(٢) المفردات مادة : مكث ٠

(٣) راجع الكشاف جـ٣ صـ١٩٦ وروح المعاني جـ٢٥ صـ١٠٣ ٠

(٤) راجع حاشية الشهاب جـ٧ صـ٤٥١ ٠

وتقديم "للحق" على "كارهون" للاهتمام بالحق تنويهاً به، وفيه إقامة الفاصلة أيضا .

والمراد من هذا القول هو بيان نفرتهم عن محمد وعن القرآن، وشدة بغضهم لقبول الدين الحق .

وبذلك تتضح لنا صلة التمني بالنظم وتعاونه مع غيره من الوسائل الأسلوبية على الوفاء بالمعنى المراد .

ومن هذه الآيات أيضا قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (٢) .

وهذه الآية تصور مشهداً من مشاهد الكافرين في الآخرة؛ إذ تصورهم في وسط النار، يستغيثون رافعين أصواتهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ .

وفعل الأمر "أخرجنا" مستعمل في التمني؛ لأنهم يطلبون المستحيل؛ إذ يطلبون الخروج من النار والعودة إلى الدنيا لعمل الصالحات، وهم بهذا يطلبون المستحيل ؛ لأن الله كتب عليهم الخلود فيها ، ولذا فقد حمل الطلب على التمني؛ لأن التمني يجري في المستحيل أو البعيد .

ويوحي التمني بالمبالغة في شدة العذاب، كما يوحي باعترافهم بذنبهم وحسرتهم وندمهم على ما فاتهم، لكن اعترافهم بذنبهم وحسرتهم قد جاء بعد فوات الأوان، ولذا فقد جاء الرد عليهم حاسماً فيه من التأنيب والتقريع ما فيه .

---

(١) روح المعاني جـ٢٥ صـ١٠٣ .

(٢) سورة فاطر / ٣٧ .

تأمل قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: أو لم نعمركم عمراً يتمكن من التذكر فيه من تذكر .

فالاستفهام للتقريع والتوبيخ ، والواو للعطف على مقدر ، وقوله "جاءكم النذير" زيادة فى التأنيب والتحذير ، وقوله : ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ فيه من التقنيط لهم ما فيه .

وقد صدَّروا صراخهم واستغاثتهم بوصف الربوبية لاستدعاء الرحمة والعطف بهم؛ لأن هذا الوصف يُوحي بهذا ويناسبه ، وقولهم: غير الذي كنا نعمل، للتحسر على ما عملوه من غير الأعمال الصالحة مع الاعتراف منهم بأن أعمالهم فى الدنيا كانت غير صالحة، وانتصاب "صالحاً" على أنه صفة لمصدر محذوف : أي عملاً صالحاً أو صفة لموصوف محذوف أي نعمل شيئاً صالحاً[1] .

فهذا المشهد كله أهوال وأفزاع، ومن العجيب أن جرس اللفظ فيه يشترك مع المعنى في تصوير حالة الكافرين في النار؛ إذ يلقي في الحس هذه المعاني التي أشرت إليها سابقاً ؛ لأن أصواته غليظة وإيقاعه عنيف، تأمل قوله : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي يستغيثون رافعين أصواتهم، فاقدين وعيهم من شدة العذاب، ينادُون: ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل من الشرك والمعاصي، فنجعل الإيمان بدل الكفر، والطاعة بدل المعصية .

---

(١) راجع فتح القدير للشوكاني جـ٤ صـ٤٩٨ دار الحديث بالقاهرة.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن ابن المنير قد قال عن هذه الآية : فهذا هو التمني بعينه، ولكنه بصيغة الوعد والخبر الصريحة والله الموفق .

وأوافقه على قوله : "فهذا هو التمني بعينه" لأن السياق والمقام يؤكدانه ، لكني لا أوافقه على قوله : ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة"؛ لأنه ليس كذلك، وإنما هو بصيغة الأمر، والأمر من الإنشاء الطلبي، ولا أدرى كيف خفي ذلك على ابن المنير وهو من الأفذاذ . رحمه الله رحمة واسعة .

إلى غير ذلك من الآيات التي أفاد الأمر فيها التمني، وهي كثيرة ،تجد جانباً كبيراً منها في أوامر الرحمن لعباده، وفي الآيات التي يتضرع فيها العبد إلى ربه طالباً منه شيئاً ، والآيات التي يحاور فيها رسل الله (عليهم السلام جميعا) أقوامهم ويأمرونهم بأوامر يبدو فيها معنى التمني واضحاً.

على أن ما كان منه فى جانب الحق (جل وعلا)، فإنه يكون على سبيل المجاز ، وما كان منه فى جانب البشر ـ سواء أكانوا رسلاً أم غير رسل ـ فإنه يكون على سبيل الحقيقة، ولولا الإطالة لوقفت عند بعض هذه الآيات لتوضيح ذلك، وإن كنت سأشير إلى ذلك عند الكلام على دلالة النهي على التمني .

إفادة النهى للتمنّي:

رأينا من خلال الحديث عن إفادة الأمر للتمنّي أنه كثير في الكتاب العزيز، ومن خلال وقوفنا مع آيات النهي في القرآن الكريم ندرك أن النهي أيضا يفيد هذا المعنى كثيراً في الكتاب المجيد ، ويستطيع كل من عنده حس بياني أن يدركه في الآيات التي جاء النهي فيها ـ سواء أكان النهي فيها من الله (تعالى) أم من غيره ـ كالرسل عليهم السلام ـ وكان هذا النهي أمراً محبوباً مرغوباً فيه للناهي .

ومن ثم فإن أغلب آيات الدعاء ــ إن لم يكن كلها ــ التي جاء فيها طلب الكف عن أمر من الأمور يصاحبها معنى التمني؛ لأن العبد حينما يطلب من الله (عزوجل) أن يكف عنه أمراً من الأمور؛ فإنه لهذا الأمر محب راغب فيه، كما أنه غير جازم بطلبه، وإنما هو على شك فى حصول المطلوب، وهذا هو معنى التمني .

اقرأ قوله (تعالى) : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ... ﴾[1] .

فالعبد يتضرع إلى الله بهذا الدعاء ويتمنى حصوله، فالنهي هنا للدعاء، ولا يمنع كونه للدعاء من أن يفيد التمنّي .

وعلى غرار هذه الآية قوله (تعالى): " ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[2] ، وقوله: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[3] وقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[4] وقوله : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾[5] وقوله : ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[6]" .

---

(١) سورة البقرة / ٢٨٦ .

(٢) سورة آل عمران / ٨ .

(٣) آل عمران / ١٩٤ .

(٤) يونس / ٨٥ .

(٥) سورة الأنبياء / ٨٩ .

(٦) سورة المؤمنون / ٩٤ .

فالنهي في كل هذه الآيات مستعمل في الدعاء والتضرع ، ولا يمنع هذا من إرادة معنى التمنّي .

كذلك قد يصدر النهي من الله (عزوجل) لعباده، وتلمح فيه معنى التمني، والتمني حينئذ إما أن يتعلق بالمخاطبين، أي لا تصنعوا هذا على وجه التمني، ويجوز أن يحمل الأسلوب على سبيل الاستعارة التمثيلية أو التبعية .

ومن ذلك ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ قوله (تعالى) : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [١] وقوله : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [٢] وقوله : ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [٣] وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [٤] وقوله : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [٥] وقوله : ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [٦] وقوله : ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [٧] وقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [٨]، وقوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [٩] وقوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [١٠] وقوله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

---

(١) سورة البقرة / ٤١ .

(٢) البقرة / ٤٢ .

(٣) البقرة / ٦٠ .

(٤) البقرة / ١٦٨ .

(٥) البقرة / ١٩٥ .

(٦) البقرة / ٢٦٤ .

(٧) البقرة / ٢٣٧ .

(٨) آل عمران / ١٠٢ .

(٩) النساء / ٢ .

(١٠) سورة الأنعام / ١٥١ .

بَطَنَ ﴾ [١] وقولـه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ [٢] وقوله : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [٣] وقولـه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ [٤] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ [٥] وقولـه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [٦] وقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [٧] وقولـه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٨] وقوله: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [٩] .

فالنهي في كل هذه الآيات سواء أكان للوجوب أم للإرشاد لا تعدم فيه معنى التمني .

ومن المعلوم أن المعنى في التمني مشكوك فيه كالرجاء ، ولذا فلا يناسب إسناده إلى الله (تعالى) بهذا المعنى، بل يجب أن يُؤوَّل بما يناسب إسناده إلى الحق (جل وعلا) وقد أشرت إلى هذا من قبل .

---

(١) الأنعام / ١٥١ .
(٢) الأنعام / ١٥٢ .
(٣) الأنفال / ٤٦ .
(٤) الإسراء / ٢٩ .
(٥) الإسراء / ٣١ .
(٦) الإسراء / ٣٢ .
(٧) الإسراء / ٣٣ .
(٨) الإسراء / ٣٤ .
(٩) الإسراء / ٣٦ .

كذلك قد يأتي النهي على لسان رسول من رسل الله (عليهم السلام أجمعين) وقد تلمح فيه معنى التمني ، تأمل في هذه النواهي التي جاءت على ألسنتهم ، يقول (تعالى) : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [1] ، ويقول : ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [2] ويقول : ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3] ويقول: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[4] ويقول : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ [5] ويقول : ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [6] ويقول : ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ۝ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [7] ويقول (سبحانه): ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۝ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [8].

فالنهي في كل هذه الآيات على سبيل الوجوب، وهو وإن كان كذلك إلا أنك تلمح فيه معنى التمني، والناهون و هم رسل الله تعالى عاشوق للنهي، محبون له راغبون فيه، كما أنهم ليسوا جازمين بوقوعه من المخاطبين .

---

(١) الأعراف / ٥٦ .

(٢) الأعراف / ٧٣ .

(٣) الأعراف / ٧٤ .

(٤) الأعراف / ٨٥ .

(٥) هود / ٧٨ .

(٦) هود / ٨٥ .

(٧) الحجر / ٦٨ ، ٦٩ .

(٨) الشعراء / ١٥١ ــ ١٥٢ .

على أن الحمل على التمني لا يتناقض مع الحمل على الوجوب، بل يتآذر معه ، ويدرك هذا من يفهم طبيعة الأساليب الإنشائية التي تتمتع بإفادة مجموعة من المعاني ، والانفعالات دفعة واحدة، هذه المعاني وتلك الانفعالات لا تتناقض مع بعـضها؛ ولكنها تتعاون فيما بينها على الوفاء بالمعنى المراد .

المبحث الثاني

دلالة الإنشاء غير الطلبي على التمني

من المعروف أن الإنشاء غير الطلبي قسيم الإنشاء الطلبي، وهو ينقسم إلى عدة أقسام،منها: التعجب،والرجاء،والقسم، والمدح والذم،وكم الخبرية، ورب، إلى غير ذلك من الأقسام التي ذكرها علماء العربية.

ومن خلال النظر في أدوات التمني، نجد أن أداة من أدواته تنتمي إلى قسم من أقسام الإنشاء غير الطلبي، ألا وهي(لعل)التي هي في الأصل، أداة من أدوات الرجاء ،الذي هو قسم من أقسام الإنشاء غير الطلبي.

فقد استعملت هذه الأداة فى إفادة التمني، واشتهرت فى ذلك حتى صارت تعد من أدواته ، ومنهم من ذكر (عسى) هى الأخرى غير أن (عسى) لم تشتهر بذلك.

على أن (لعل) حينما تخرج عن الرجاء إلى إفادة معنى التمني، فإنها لم تنخلع عن معناها الأصلي تماماً، بل تظل محتفظة به؛ ولذا فإنها تصبغ المعنى الجديد ــ وهو التمني ــ بصبغة المعنى القديم ــ وهو الرجاء ــ؛ ولذا فإن (لعل) لا تستعمل إلا فى مقام يطلبها ويتناسب معها، وفيما يلي نقف مع بعض الآيات التي استعملت فيها (لعل) في إفادة معنى التمني

وقبل البدء فى الوقوف مع هذه الآيات أنبه إلى أن التمني قريب من الرجاء فى المذاق ؛ ولذا فإنهما يتبادلان المواقع كثيراً، وليس معنى هذا أن التمني والترجي متحدان، وإنما لكل منهما مقام يطلبه، فالتمني يكون في طلب المستحيل غالباً والممكن البعيد ــ أو ما يترل منزلته ــ قليلاً، والرجاء لا يكون إلا فى الممكن

القريب ، فإذا ما جاء فى الأمر البعيد أو المستحيل خرج من دائرة الرجاء إلى دائرة التمني، وتكون (لعل) حينئذ أداة من أدوات التمني؛ ولذا فقد قال البلاغيـــون إن (لعل) لا تكون للتمني إلا بقرينتين:

الأولى: أن تدخل على الأمر المستحيل أو البعيد ٠

الثانية : أن يُنْصَب الفعل المضارع بـــ (أن) مضمرة بعد الفاء فى جوابها علـــى رأي البصريين ٠

على أن مسألة القرب أو البعد إنما هى راجعة إلى إحساس المتكلم فإن أحـــس الأمر قريباً فهو قريب ـــ وإن كان فى واقع الأمر بعيداً ـــ ويُحْمَل كلامـــه حينئـــذ على الترجي ٠

وإن أحسه بعيداً فهو بعيد، ويحمل كلامه حينئذ على التمني بناء على إحساسه الذى أحس به ٠

و(لعل) ـــ كما ذكرت سابقاً ـــ حينما تستعمل في التمني، لا تُفرَّغ من معـــنى الرجاء بل يظل معنى الرجاء ـــ الذي هو معناها الأصلي ـــ عالقاً بها معطياً للـــتمني طعماً ومذاقاً آخر، يختلف عن التمني الذي يكون بغير هذه الأداة ٠

نخلص من كل هذا بأن (لعل) إذا ما كانت مستعملة فى الأمر الممكن القريـــب فإنها على بابها- وهو التوقع والطمع- وإذا ما كانت مستعملة فى الأمر المـــستحيل فإنها للتمني قطعاً، أما إذا كانت فى الأمر البعيد فإنها احتمالية؛ لأن مسألة القـــرب والبعد مسألة مختلف فيها؛ إذ يرى بعضهم الأمر قريباً فيحمل (لعل) على الترجـــي، ويراه بعضهم بعيداً فيحمل (لعل) على التمني ٠

ويتضح هذا كله بالوقوف مع بعض الآيات التى حُمِلَت فيها (لعل) على إفادة معنى التمني .

١ - يقول الله (تعالى) فى حكاية قول فرعون لوزيره هامان : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[1] .

فقد قال فرعون هذا القول لما قال مؤمن آل فرعون ما قال ، وخشي فرعون أن يتمكن كلام هذا المؤمن من قلوب القوم، وقد أوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد، وأنه جاد فى ذلك ، فإن بان له صوابه لم يخفه عنهم، وإن لم يصح لبّهم على دينهم [2]؛ فأمر وزيره هامان ببناء الصرح، والصرح : البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وإن بعد، اشتقوه من صرح الشئ إذا ظهر[3].

وقال الراغب : الصرح بيت عال مزوق، سمى بذلك اعتباراً بكونه صرحاً من الشوب أى خالصاً[4].

ولما أمر وزيره ببناء هذا الصرح، رتب عليه قوله: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ .

---

(١) سورة غافر / ٣٦ ــ ٣٧ .

(٢) القرطبي جـ١٥ صـ٣١٤ .

(٣) أبوالسعود جـ٤ صـ٤٩٠ .

(٤) المفردات مادة : صرح .

وهو يتمنى فيه أن يبلغ أسباب السموات، ليطلع إلى إله موسى، وأسباب السموات، طرقها، وأبوابها الموصلة إليها، فكل ما أداك إلى شئ فهو سبب إليه ، قال زهير :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

أراد اللعين تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات ، فأبهمها، ثم أوضحها فقال:﴿الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ فقوله : ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ بيان للأسباب، وفى إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع ؛"لأنه لما كان بلوغها أمراً عجيباً ، أراد أن يورده على نفس متشوفة إليه، ليعطيه السامع حقه من التعجيب ، فأبهمه ليشوف إليه نفس هامان ثم أوضحه"[1] .

وقد حملت (لعل) في كلامه على التمني؛ لأن ما يطلبه ويتمناه ليس فى مقدوره، بل ليس فى مقدور البشر جميعا، فالمقام إذا مقام التمني، كما أن قراءة حفص بنصب "فَأَطَّلِعَ" تؤيد هذا الحمل؛ لأن الفعل المضارع لا ينصب بأن مضمرة بعد الفاء وجوباً إلا في جواب طلب، والترجي ليس بطلب على الراجح ،وإنما الطلب هو التمني، ولذلك حملت (لعل) على إفادة التمني .

وأما النصب في جواب الترجي فشيء أجازه الكوفيون ومنعه البصريون، واحتج الكوفيون بهذه القراءة وبقراءة عاصم" فتنفعه الذكرى" في سورة عبس؛ إذ هو جواب الترجي في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [2].

---

(١) الكشاف جـ٣ صـ٤٢٨ .

(٢) سورة عبس / ٣ ــ ٤ .

وقد حسم السبكي (رحمه الله) الخلاف في هذه القضية فقال: "لا يقال قوله (تعالى): ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ﴾ فيه جواب الترجي؛ لأنا نقول هذا ممن لا ترج، واستشهاد بعض النحاة على نصب جواب الترجي لا ينافي هـذا؛ لأن النحوي ينظر في الترجي والتمني إلى اللفظ والبياني ينظر إلى المعنى"[1].

وقد أبرز فرعون ما يتمناه في صورة الأمر الممكن المتوقع ـ المرجو ـ ليوهم أنه جاد في التعرف على حقيقة ما يدعو إليه موسى؛ فها هو يبلغ أسباب السموات، ويجد في أن يطلع على حقيقة الأمر، وكأن وراء ذلك إدلالاً بقوة موقفه، وأنه إنما يفعل ذلك ليبطل ما قد يطوف في الأوهام، أن في الكون إلهاً غيره[2].

وهو بهذا يموه على قومه، ويوهمهم أنه جاد في التعرف على حقيقة إله موسى، وبعيد عن الاحتمال أن يكون هذا فهم فرعون وإدراكه، وبعيد أن يكون جاداً في البحث عن إله موسى على هذا النحو المادي الساذج، وقد بلغ فراعنة مصر من الثقافة حداً يبعد معه هذا التصور.

إنما هو الاستهتار والسخرية من جهة، والتظاهر بالإنصاف والتثبت من أخرى، وربما كانت هذه خطة للتراجع أمام مطارق المنطق المؤمن في حديث الرجل المؤمن!

وكل هذه الفروض تدل على إصراره على ضلاله وتبجحه في جحوده[3]، كما تشعر بغروره، وكبريائه، وغطرسته، وجبروته.

---

(١) عروس الأفراح ـ شروح التلخيص ـ جـ٢ صـ٢٤٣.

(٢) دلالات التراكيب ٢٠٢.

(٣) في ظلال القرآن جـ٥ صـ٣٠٨٢.

وهذا المعنى الذى أوحت به قراءة النصب يلتقي مع ما تفيض به قراءة الرفع ، التي يحمل فيها الأسلوب على الرجاء والتوقع، ولا معنى للتوقع إلا على الوجه المذكور فى قراءة النصب[1] .

ومما هو جدير بالذكر أن قوله (تعالى) : "فأطّلِعُ" قرأه الجمهور بالرفع عطفاً على قوله : "أبلغُ" ، وقرأه الأعرج ، وأبو حيوة، وزيد بن على والزعفرانى وابن مقسم وحفص : "فأطّلِعَ" بنصب العين، وهناك فرق كبير بين قراءة الرفع وقراءة النصب ؛ لأن الرفع يعنى أن قوله "فأطلع"، معطوف على قوله : "أبلغ" ؛فهو داخل في حيز الترجي، فكأنه قيل: لعلي أبلغ الأسباب ثم لعلي أطلع بعد ذلك إلا أن(ثم) أشد تراخياً من الفاء .

أما قراءة النصب ففيها ثلاثة أوجه:

أحدها : أنه على جواب التمني ، والمعنى عليه متى بلغت الأسباب اطلعت .

وثانيها : أنه جواب الأمر في قوله: ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ فنصب قوله " فأطّلِعَ " بـ (أن) مضمرة بعد الفاء في جوابه ، وهذا على قاعدة البصريين، ونظيره قول الشاعر :

يا ناق سيرى عنقاً فسيحاً ... إلى سليمان فنستريحا

وهذا أوفق لمذهب البصريين .

وثالثها : أنه منصوب عطفاً على التوهم ؛ لأن خبر (لعل) كثيراً جاء مقروناً بـ (أن) في النظم، وقليلاً في النثر، فمن نصب توهم أن الفعل المرفوع الواقع خبراً

---

(١) دلالات التراكيب ٢٠٢ .

منصوب بـ (أن)، والعطف على التوهم كثير، وإن كان لا ينقاس، لكن إن وقع شئ وأمكن تخريجه عليه خرج[١]، وهذا رأى أبي حيان .

أما النصب في جواب الترجي في (لعل) فهو ـ كما ذكرت سابقاً ـ مذهب كوفي وإليه نحا الزمخشري تشبيهاً للترجي بالتمني، أو لمعاملة الترجي معاملة التمني وإن كان غير مشهور[٢].

والبصريون يأبون ذلك وينكرونه ، ويخرجون ما أتى منه على ما تقدم من وجوه.

على أن أشهر هذه الوجوه هو الوجه الأول القائل باستعارة حرف الرجاء إلى معنى التمني على وجه الاستعارة التبعية، إشارة إلى بعد ما ترجاه، وجعل نصب الفعل بعده، قرينة على الاستعارة.

وهذه الآية التي وقفنا معها هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي حُملت فيها (لعل) على إفادة معنى التمني، أما قوله (تعالى) : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [٣] فقد قرأ الجمهور قوله : "فتنفعُه"، بالرفع عطفاً على قوله "يذكرُ"، وعلى هذه القراءة تكون (لعل) على بابها، وهو الترجي ، وقرأ عاصم وغيره : " فتنفعَه" بالنصب جواباً لـ (لعل)[٤].

---

(١) راجع البحر المحيط جـ٧ص٤٦٦ ، والفتوحات الإلهية جـ٤ صـ١٥،١٦

(٢) التحرير والتنوير جـ٢٤ صـ١٤٦ .

(٣) سورة عبس / ١ ـ ٤ .

(٤) البحر المحيط جـ٨ صـ٤٢٧ والقرطبي جـ١٩ صـ٢١٤ .

وقد حمل بعضهم (لعل) حينئذ على إفادة معنى التمني؛ لأن جوابها لا يُنْصَب — على رأى البصريين — إلا إذا كانت بمعنى التمني؛ إذ لا ينصب إلا فى جواب طلب ، والترجي ليس بطلب، إنما الطلب هو التمني؛ ولذلك حُمِلَت (لعل) عليه.

وقد أيد هذا القول حمل الضمير في "لعله"، على أنه راجع إلى جنس الكافر ، والتمني حينئذ في جانب الرسول (ﷺ)، والمعنى: أنك تمنيت أن يتزكى الكافر بالإسلام أو يذكر، فتقربه الذكرى إلى قبول الحق؛ ولذلك توليت عن الأعمى، وما يدريك أن ما تمنيته كائن أو واقع .

فقد حملت (لعل) على (ليت) أختها، لبعد المرجو عن الحصول، ويؤيده كون الضمير للكافر ، وإن كان قد ضعفه بعضهم لعدم ذكر الكافر، ولإفراد الضمير مع أن الظاهر — كما روي — جمعه[1] .

على أن مذهب الكوفيين النصب في جواب الترجي ، وعلى هذا سار جمع من العلماء منهم الزمخشري والبيضاوي [2] في حمل الآية التي معنا، ولهذا فـ (لعل) في الآية للرجاء، وهو مستعمل في الإرشاد إلى إعماق النظر ، وأما النصب في قوله : ﴿فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ فشيء أجازه الكوفيون في جواب الترجي، ومنعه البصريون ، وقد تأوله أبو حيان (رحمه الله) على أن يكون عطفاً على التوهم[3] .

---

(١) حاشية الشهاب جـ٨ صـ٣٢١ .

(٢) راجع المصدر نفسه .

(٣) راجع البحر المحيط جـ٧ صـ٤٦٥ والأساليب الإنشائية غير الطلبية في القرآن الكريم للباحث صـ٤٥٨ .

المبحث الثالث

دلالة الخبر على التمني

وقد يستفاد معنى التمني من الخبر في القرآن الكريم بطرق متعددة؛ إذ يستفاد منه بالوضع أو بالمجاز أو الكناية .

فأما الدلالة عليه بالوضع فتكون من خلال التعبير عنه بمادة "المُنى" ومشتقاها.

وأما الدلالة عليه بالمجاز فتتمثل فى التعبير عنه بالفعلين (تدَّعُون) و(يـدَّعُون)، وكذلك في خروج (لو) عن أصل وضعها إلى إفادة معنى التمني ، وقد اشتهرت بذلك حتى صارت أداة من أدواته المشهورة ، واستعمالها في التمني — كما ذكرت — من قبيل المجاز، وقد ذكر البلاغيون أن نكتة استعمالها في التمني هي الإشعار بعزة المُتمنَّى بإبرازه في صورة ما لم يوجد؛ لأن (لو) في أصلها حرف امتناع ومن ذلك قول مهلهل :

فلو نُشِرَ المَقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ فَيُخبِرَ بالذَّنائبِ أيَّ زِيرِ [1]

وأما الدلالة عليه بالكناية فتتمثل في التعبير عنه بمادة الود ومشتقاها، وكذلك في خروج الخبر عن أصل وضعه إلى إفادة لازم معناه وهو التمني ، وسوف نحاول توضيح كل هذا فيما يأتي والله الموفق[2] .

---

(١) بغية الإيضاح للشيخ عبدا لمتعال الصعيدي جـ٢ صـ٢٣ .

(٢)وذلك عدا الدلالة عليه بمادة المنى ومشتقاها فإنها دلالة لغوية .

١ــ التمني بمادة (الود) ومشتقاتها :

فقد جاءت هذه المادة ومشتقاتها في القرآن الكريم، في سبعة عشر موضعاً وهي:

١ - قوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ (١) .

٢ - قوله تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾(٢)

٣ - قوله تعالى : ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ (٣) .

٤ - قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾(٤) .

٥ - قوله تعالى : ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾(٥) .

٦ - قوله تعالى: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾(٦) .

٧ - قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾(٧) .

---

(١) البقرة / ١٠٩ .

(٢) النساء / ١٠٢ .

(٣) آل عمران / ٦٩ .

(٤) آل عمران / ١١٨ .

(٥) النساء / ٨٩ .

(٦) الممتحنة / ٢ .

(٧) القلم / ٩ .

٨ - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١)

٩ - قوله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ (٢)

١٠ - قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٣).

١١ - قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٤).

١٢ - قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ (٥)

١٣ - قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ (٦).

١٤ - قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٧).

١٥ - قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ (٨)

١٦ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ (٩).

---

(١) آل عمران / ٣٠.
(٢) الأنفال / ٧.
(٣) البقرة / ٩٦.
(٤) البقرة / ١٠٥.
(٥) البقرة / ٢٦٦.
(٦) النساء / ٤٢.
(٧) الحجر / ٢.
(٨) المعارج / ١١.
(٩) الأحزاب / ٢٠.

١٧ - قوله تعالى : ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (١) .

فقد ذكر علماؤنا أهل اللغة أن مادة الوُد قد تستعمل في إفادة معنى التمني، يقول ابن منظور (رحمه الله): "ووَدِدْتُ الشيء أَوَدُّ ، وهو من الأُمْنية، قال الفراء: هذا أفضل الكلام، وقال بعضهم: وَدِدْتُ ويفعل منه يوَدُّ لا غير، ذكر هذا في قوله تعالى:﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ أى يتمنى، ونقل عن الجوهرى قوله: تقول وَدِدْتُ لو تفعل ذلك، ووَدِدْتُ لو أنَّك تفعل ذلك. أَوَدُّ وَدّاً ووِدّاً، ووِدَادَةً ووِدَاداً أي تمنيت قال الشاعر :

وَدِدْتُ وِدَادَةً لَوْ أَنْ حَظِّي مِنْ الخُلَّان أَلَّا يَصْرِمُونِي

ووَدِدْتُ الرجل أَوَدُّهُ وِدّاً إذا أحببته •

... وانشد الفراء في التمني :

وَدِدْتُ وِدَادَه لَوْ أَنَّ حَظِّي

قال : وأختار في معنى التمني: وَدِدْتُ. قال : وسمعت وَدَدْتُ ، بالفتح وهي قليلة[٢]

فكلام ابن منظور صريح في استعمال مادة الود في إفادة معنى التمني، كما أنه يوحي بأن هذا الاستعمال من قبيل الكناية، وأنه لا يكون إلا مع أفعال هذه المادة حينما يكون مفعولها جملة، أما إذا كان مفردا فإنه يفيد معنى المحبة •

---

(١) المجادلة / ٢٢ •

(٢) اللسان مادة : ودّ •

وقد أوحى كلام أبي هلال العسكري بهذا الفهم، يقول (رحمه الله) وهو يفرق بين الحُبِّ والوُدِّ:

" والفرق بين الحُبِّ والوُدِّ : أن الحب يكون فيما يوجبه ميل الطباع والحكمة جميعا، والوُدُّ من جهة ميل الطباع فقط ، ألا ترى أنك تقول : أُحِبُّ فلاناً وأَوَدُّه وتقول: أحبُّ الصلاة وتقول : أودُّ الصلاة وتقول : أَوَدُّ أن ذاك كان لي إذا تمنيت وِدَادَه، وأَوَدُّ الرجل وِدّاً ومودةً والوُدُّ والوَدِيدُ مثل الحب والحبيب"[1].

فهذا الكلام يوحي بأن الوُدَّ قد يستعمل في الحب والتمني ، فإن كان مفعوله مفرداً كان مستعملاً في الحب كقولك أودُّ الرجل وأودُّ الصلاة، أي أحبهما، وإن كان مفعوله جملة كان مستعملاً في التمني .

وقد أشار الراغب إلى استعمال مادة الوُدّ في التمني ، كما أضاف إلى هذا أن هذه المادة إذا ما استعملت في التمني، فإنها تكون فيه قصداً وفي المحبة تابعاً ، كما ذكر الراغب عدداً من الآيات التي أفادت فيها هذه المادة معنى التمني .

يقول (رحمه الله) الوُدُّ محبة الشيء وتمني كونه ، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الوُدّ ، لأن التمني هو تشهّي حصول ما تَوَدُّه .

...... ومن المودة التي تقتضي معنى التمني : ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ وقال: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ وقال : ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ـ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ـ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ . يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾[2] .

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق عماد زكي البارودي صـ١٢٦

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني مادة وَدّ .

ومن هنا ندرك أن أفعال مادة الوُدِّ، تفيد معنى التمني إذا كان مفعولها جملة، أما إذا كان مفعولها مفرداً فإنها تكون مستعملة في المحبة، فتقول على الأول : وَدِدْتُ لو تفعل وعلى الثاني وَدِدْتُ الرجل، وهذا هو الفرق بين الوُدِّ والتمني من خلال الاستعمال القرآني مع ملاحظة أن نفيه يكون كناية عن الكراهية .

ومما يجب التنبيه إليه أن الفعلين (وَدَّ، يَوَدُّ) كثيراً ما تقع بعدها (لو) وتسمى (لو) هذه بالمصدرية، وهي بمعنى (أن) ولا يكون لها جواب ، بل تكون هي والفعل بعدها في تأويل مصدر هو مفعول (ودَّ) أو يَوَدُّ .

ومنهم من جعل (لو) حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره ــ أي شرطية ــ وجعل جوابها محذوفاً ، كما جعل مفعول (وَدَّ أو يَوَدُّ) محذوفاً؛ إذ يقدرون المعنى في قوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ [1] بقولهم : ودُّوا ردَّكم كفاراً لو يردونكم كفاراً لسروا بذلك .

قال صاحب البحر عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ :

" قال أبو مسلم الأصبهاني: (وَدَّ) بمعنى (تمنَّى) فتستعمل معها (لو وأن) ،وربما جمع بينهما فيقال: وَدِدْتُ أَنْ لَوْ فعل، ومصدره الوِدَادَة، والاسم منه(وِدّ)، وقد يتداخلان في المصدر والاسم. وقال الراغب: إذا كان(وَدَّ) بمعنى أحب لا يجوز إدخال(لو) فيه أبداً، وقال علي بن عيسى: إذا كان(وَدَّ)بمعنى تمنَّى صلح للماضي والحال والمستقبل، وإذا كان بمعنى المحبة والإرادة لم يصلح للماضي؛ لأن الإرادة

---

(١) البقرة / ١٠٩ .

كاستدعاء الفعل، وإذا كان للحال والمستقبل جاز(أن ولو) ، وإذا كان للماضي لم يجز (أن) ؛لأن (أن) للمستقبل وما قاله فيه نظر ألا ترى أن (أن) توصل بالفعل الماضي نحو سرني أن قمت"[١].

لكن أبا حيان ذكر في موطن آخر أن مما ضعف المصدرية وقوع (أنَّ) المشددة المفتوحة الهمزة بعدها ، كقوله تعالى : ﴿وما عملت من سوء تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ ؛ إذ لا يباشر حرف مصدري حرفاً مصدرياً إلا قليلاً كقوله تعالى : ﴿ مثل ما أنكم تنطقون ﴾ والذي يقتضيه المعنى أن(لو أن) وما يليها هو معمول لـ (تَوَدُّ) في موضع المفعول به[٢].

وفيما يلي نقف مع بعض الآيات التي جاءت فيها مادة الوُدّ، وأفادت معنى التمني كما نعرض لأقوال العلماء حول هذه الآيات :

١ – قال تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾ [٣] .

ذكر البيضاوي (رحمه الله) في تفسيره أن معنى الفعل (وَدَّ) تمنى؛ إذ يقول في بيان معنى الآية أي: تمنوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيهم"[٤].

وجاء في كلام الفخر (طيب الله ثراه): " ... على معنى أنهم أحبوا أن ترتدوا عن دينكم، وتمنيهم ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ؛ لأنهم

---

(١) البحر المحيط جـ١ صـ٣٤٨ .

(٢) المصدر السابق جـ٢ صـ٤٣٠ ويراجع دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور/ محمد عبد الخالق عضيمة القسم الأول الجزء الثاني صـ٩٦٠ .

(٣) البقرة / ١٠٩ .

(٤) البيضاوى صـ٢٣ .

ودُّوا ذلك من بعد ما تبين لهم، أنكم على الحق، فكيف يكون تمنيهم من قبل طلب الحق"[١].

فالفعل (ودَّ) بمعنى تمنّى، و(لو) تحتمل أن تكون مصدرية وتحتمل أن تكون حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره، ومن قال: إنها مصدرية قال : (لو) والفعل في تأويل مصدر هو مفعول (ودَّ) أي ودوا ردَّكم . ومن جعلها حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره جعل الجواب محذوفاً وجعل مفعول (ودَّ) محذوفاً والتقدير : ودُّوا ردَّكم كفاراً لو يردُّونكم كفاراً لسروا بذلك[٢].

٢ - قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [٣] .

قال البيضاوي في معنى الآية: أي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها أو جزاء أعمالها، من الخير والشر حاضرة (لو أن)بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمداً بعيداً[٤].

وذكر الفخر الرازي أن المراد من هذا التمني معلوم، سواء حملنا لفظ الأمد على الزمان أو على المكان ؛ إذ المقصود تمنّى بُعْده[٥].

ورد أبو حيان على من يذهب إلى أن (لو) في الآية مصدرية لوقوعها بعد الفعل (ود) بأن ذلك بعيد لولايتها (أنَّ) و(أنَّ) مصدرية ولا يباشر حرف مصدري حرفاً

---

(١) الفخر الرازى جـ٣ صـ٢٢٠ .

(٢) البحر المحيط جـ١ صـ٣٤٨ .

(٣) آل عمران / ٣٠ .

(٤) البيضاوى صـ٧١ .

(٥) الفخر الرازى جـ٨ صـ٨٠ .

مصدرياً إلا قليلاً كقوله تعالى : ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾، والذي يقتضيه المعنى أن (لو أنَّ) وما يليها هو معمول لتود في موضع المفعول به"[١].

٣ - قال تعالى : ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [٢].

ذكر أبو حيان عند تفسيره لهذه الآية أن أبا مسلم الأصبهاني قال: (ودَّ) بمعنى تمنَّى، فتستعمل معها (لو) و(أن) وربما جمع بينهما فيقال: وَددْتُ أن لو فعل ... [٣].

وإذا كان أبو حيان قد ذكر ــ كما نقل عن أبي مسلم ــ أن التمني مفاد من الفعل (وَدّ)، فإن الفخر الرازي قد ذهب إلى أن التمني مفاد من (لو) المصدرية؛ إذ يقول (رحمه الله) : " ... وإنما قال : ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ ولم يقل أن يضلوكم؛ لأن "لو" للتمني فإن قولك لو كان كذا يفيد التمني ونظيره قوله تعالى :﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [٤] .

وهذا ما يحدث كثيراً مع (لو) المصدرية التي تسبق بفعل من مادة الود ؛ إذ ينسب بعضهم التمني أحياناً إلى الفعل (ودَّ) أو (يَوَدُّ) وينسبهم بعضهم إلى (لو) كما فعل الفخر فى آية البقرة السابقة ومن قبله الزمخشري .

٤ - قال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [٥] .

---

(١) البحر جـ٣ صـ٤٣٠ .

(٢) آل عمران / ٦٩ .

(٣) البحر المحيط جـ٢ صـ٤٨٨ .

(٤) تفسير الفخر الرازى جـ٨ صـ٨٠ .

(٥) النساء / ٤٢ .

قال البيضاوي في معنى الآية: أي يتمنون أن تسوى بهم الأرض، ونظّرها الفخر الرازي بقوله تعالى: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ [١] ؛ لأنه ذكر وجوها فى تفسيرها، ومن هذه الوجوه:"تصير البهائم تراباً فيودون حالها كقوله : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ [٢]أي يتمنون أن يكونوا تراباً ٠

و(لو) يجوز فيها أن تكون حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره وجوابه محذوف، ويجوز أن تكون مصدرية ٠

يقول أبو حيان: "مفعول (يَوَدُّ) محذوف تقديره: تسوية الأرض ودل عليه قوله: "لو تسوى بهم"، و(لو) حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وجوابه محذوف، تقديره: لسروا بذلك، وحذف للدلالة (يود) عليه٠

ومن أجاز في (لو) أن تكون مصدرية مثل (أن) جوز ذلك هنا، وكانت إذ ذاك لا جواب لها ، بل تكون فى موضع مفعول (وَدَّ)" [٣]٠

٥ – قال تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [٤]٠

قال البيضاوي : " تمنوا أن تكفروا ككفرهم فتكونون معهم سواء فى الضلال ، وهو عطف على تكفرون، ولو نصب على جواب التمني لجاز ... "[٥]٠

وما ذكره البيضاوي قد نقله عن الزمخشري من غير مناقشة أو اعتراض، أما أبو حيان فقد ناقش الزمخشري في كون التمنّي بلفظ الفعل ويكون له جواب ٠

---

(١) النبأ / ٤٠ ٠

(٢) الفخر الرازي جـ٨ صـ٨٠ ٠

(٣) البحر المحيط جـ٣ صـ٢٥٣ ٠

(٤) النساء / ٨٩ ٠

(٥) تفسير البيضاوى صـ١٢١ ٠

يقول أبو حيان: " من أثبت أن (لو) تكون مصدرية قدره: ودوا كفركم كما كفروا، ومن جعل (لو) حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره، جعل مفعول (ودُّوا) محذوفاً، وجواب (لو) محذوفاً، والتقدير: ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا، فتكونون سواء لسروا بذلك. قال الزمخشري : "فتكونون" عطف على (تكفرون)، ولو نصب على جواب التمنى لجاز " .

وكون التمني بلفظ الفعل ويكون له جواب، فيه نظر ، وإنما المنقول أن الفعل ينتصب في جواب التمني، إذا كان بالحرف نحو (ليت) و(لـو) و(ألا) إذا أشربتا معنى التمنى ، أما إذا كان بالفعل فيحتاج إلى سماع من العرب ، بل لو جاء لم تتحقق فيه الجوابية ؛ لأن (وَدَّ) التي تدل على التمني، إنما متعلقها المصادر لا الذوات ؛ فإذا نصب الفعل بعد الفاء، لم يتعين أن تكون فاء جواب، لاحتمال أن يكون من باب عطف المصدر المقدر على المصدر الملفوظ به، فيكون من باب :

للبس عباءة وتقر عينى[1]

ويامعان النظر فى كلام أبى حيان نجد أنه يتضمن الإشارة إلى عدة مسائل :

١ – أن الذي أفاد التمني في الآية هو الفعل (وَدَّ) وليس غيره.

٢ – أن التمني لا يكون له جواب إلا إذا كانت بالحرف، أما إذا كان بالفعل فإنه يحتاج إلى سماع من العرب ، بل لو جاء لم تتحقق فيه الجوابية ؛ لأن (وَدَّ) التي تدل على التمني إنما متعلقها المصادر لا الذوات ، فإذا نصب الفعل بعد الفاء، لم

(١) البحر المحيط جـ٣ صـ٣١٤ .

يتعين أن تكون فاء جواب، لاحتمال أن تكون هذه الفاء عاطفة ، ويكون الكـلام من باب عطف المصدر على المصدر •

٣ - (لو) تحتمل أن تكون مصدرية، أو حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره •

أما الفخر الرازي ، فإنه قد بين معنى التمني في الآية؛ إذ يقـول (رحمـه الله) : "قال: إنهم بلغوا فى الكفر إلى أنهم يتمنون أن تصيروا أيها المسلمون كفـاراً، فلمـا بلغوا في تعصبهم في الكفر إلى هذا الحد فكيف تطمعون فى إيمانهم !!

وبعد أن بين معنى التمني في الآية، ذهب مذهب الزمخشري في جـواز مجـيء جواب للتمني إذا كان بالفعل يقول :

" قوله "فتكونون سواء" رفع بالنسق على "تكفـرون"، والمعـنى: ودُّوا لـو تكونون ، والفاء عاطفة، ولا يجوز أن يجعل ذلك على جواب التمني، ولو أراد ذلك على تأويل إذا كفروا استووا لكان نـصباً . ومثلـه قولـه : ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ولو قيل : "فيدهنوا" على الجواب لكان ذلك جائزاً في الإعراب ، ومثله : ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم﴾ [1]،

٦ - قال تعالى : ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [2] •

قال البيضاوي في توضيح معنى الآية: تمنوا أن ينالوا منكم غـرة في صـلاتكم ،فيشدون عليكم شدة واحدة، وهو بيان ما لأجله أمِرُوا بأخذ السلاح[1] •

---

(١) الآية من سورة النساء / ١٠٢ وراجع تفسير الفخر الرازي جـ١٠ صـ١٧٥

(٢) النساء / ١٠٢ •

٧ – قال تعالى : ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [٢] .

فقد أشار الفخر الرازي، والبيضاوي إلى معنى التمني في الآيـة، وكلامهمـا يوحي بأنه نابع من الفعل (يود)، يقول الفخر الرازي ـــ وهو يحاول أن يبين معـنى (رب) وارتباطه أو مناسبته لمعنى التمني ـــ : "قال الزجاج : ومن قال : إن رُبَّ يعنى بها الكثرة فهو ضد ما يعرفه أهل اللغة، وعلى هذا التقدير فهاهنا سؤال وهو أن تمني الكافر الإسلام مقطوع به، وكلمة رب تفيد الظن، وأيضا أن ذلك الـتمني يكثـر ويتصل فلا يليق به لفظة (ربما) مع أنها تفيد التقليل .

وأجاب عن ذلك بعدة وجوهٍ ، من هذه الوجوه :

الوجه الثالث فى الجواب : أن يشغلهم العذاب عن تمني ذاك إلا في القليل [٣].

وقال أبو حيان (رحمه الله) : " وقيل ندهشهم أهوال ذلك فيبقون مبهوتين، فإن كانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل[٤] .

وما ذكره أبو حيان قد نقله عن الإمام البيضاوي .

و(لو) فى الآية تحتمل أن تكون مصدرية، وتحتمل أن تكون شرطية، والجـواب محذوف . قال أبو حيان :

" (لو كانوا مسلمين) بدل من (ما) على أن (لو) مصدرية وعلى القول الأول تكون في موضع نصب على المفعول لـ(يود) .

---

(١) البيضاوى صـ١٢٥ .

(٢) سورة الحجر / ٢ .

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ١٩ صـ١٢١ .

(٤) البحر المحيط جـ٥ صـ٤٤٤ .

ومن لا يرى أن (لو) تأتي مصدرية جعل مفعول (يود) محذوفاً، وجواب (لـو) محذوفاً، أي ربما يود الذين كفروا الإسلام لو كانوا مسلمين لسروا بذلك[١].

٨ - قال تعالى : ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ [٢].

قال الزمخشري في معنى الآية : " تمنوا لخوفهم مما مُنُوا به هـذه الكـرة أنهـم خارجون إلى البدو، حاصلون بين الأعراب"[٣].

وقد نقل الإمام البيضاوي عبارة الزمخشري.

٩ - قال تعالى : ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [٤].

قال الزمخشري : " وتمنوا لو ترتدون عن دينكم، فإذن مـوادة أمثـالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لأنفسكم [٥].

وقال البيضاوي : "وتمنوا ارتدادكم، ومجيئه وحده بلفظ الماضي للإشعار بأنهم ودوا ذلك قبل كل شيء، وإن موادتهم حاصلة"[٦].

١٠ - قال تعالى : ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [٧].

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) سورة الأحزاب / ٢٠ .

(٣) الكشاف جـ٢ صـ٢٥٦ .

(٤) سورة الممتحنة / ٢ .

(٥) الكشاف جـ٤ صـ٩٠ .

(٦) البيضاوي صـ٧٢٩ .

(٧) القلم / ٩ .

أي تمنوا أن تلاينهم بأن تدع نهيهم عن الشرك، أو توافقهم فيه أحياناً فيدهنون، أي: فيلاينونك بترك الطعن والموافقة .

والفاء للعطف، أي: ودوا التداهن وتمنوه، لكنهم أخروا إدهانهم حتى تدهن، أو للسببية أي: ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو إدهانك، فهم الآن يدهنون طمعاً فيه، وفى بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني[1].

وقال الزمخشري : " فإن قلت: لم رفع (فيدهنون) ولم ينصب بأن مضمرة وهو جواب التمني ؟

قلت: قد عدل به إلى طريق آخر ، وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف، أي فهم يدهنون، كقوله تعالى : ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف﴾ على معنى: ودُّوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ ، أو ودُّوا إدهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم فى إدهانك.

قال سيبويه : وزعم هارون أنها في بعض المصاحف : ودُّوا لو تدهن فيدهنوا[2].

وقد نقل الفخر الرازي كلام الزمخشري، وذهب مذهبه في أنّ نصب قوله "فيدهنوا" يكون على أنه جواب التمني .

وقد أضاف أبو حيان وجهاً آخر لنصبه وهو العطف على التوهم كما بين (رحمه الله) معانى (لو) فقال :

---

(١) البيضاوى صـ٧٥٢ .

(٢) الكشاف جـ٤ صـ١٤٢ .

"(لو)هنا على رأى الكوفيين مصدرية بمعنى(أن)أي ودوا إدهانكم.

ومذهب الجمهور أن معمول (ودَّ) محذوف، أي : ودوا إدهانكم، وحذف لدلالة ما بعده عليه، و(لو) باقية على بابها من كونها حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره.

وجوابها محذوف تقديره: لسروا بذلك ... قال هارون إنه فى بعض المصاحف : (فيدهنوا) ولنصبه وجهان :

أحدهما: أنه جواب (ودَّ) لتضمنه معنى (ليت) .

الثانى: أنه على توهم أنه نطق بأن فيكون عطفاً على التوهم، ولا يجيء هذا الوجه إلا على قول من جعل (لو) مصدرية بمعنى أن"[1].

وقال العكبري : "إنما أثبت النون لأنه عطفه على (تدهن) ولم يجعله جواب التمني، وفى بعض المصاحف بغير نون على الجواب"[2].

١١ - قال تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ [3] .

ذكر البيضاوي أن قوله تعالى:"يَوَدُّ..."إما"حال من أحد الضميرين، أو استئناف يدل على أن اشتغال كل مجرم بنفسه، بحيث يتمنَّى أن يفتدى بأقرب الناس وأعلقهم بقلبه، فضلاً عن أن يهتم بحاله ويسأل عنها[1].

---

(١) البحر المحيط جـ٨ صـ٣٠٩ .

(٢) التبيان جـ٤صـ٤١١على هامش الفتوحات الإلهية ط عيسى البابي الحلبي.

(٣) المعارج / ١١ ــ ١٢ .

وقال الزمخشري في معناها: يعنى تمنى لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده وبـــذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك، وهيهات أن ينجيه"[٢].

وبالوقوف مع هذه الآيات، التي جاءت فيها أفعال مادة الود فى القرآن الكريم ، وبعرض أقوال العلماء حولها ـــ يتأكد لنا ـــ من خلال الاستعمال القرآنى ـــ أن أفعال هذه المادة تفيد معنى التمني إذا كان مفعولها جملة، أما إذا كان مفعولها مفـــرداً فإنها تفيد معنى المحبة .

على أن طريق إفادة هذه الأفعال لمعنى التمني إنما هو الكناية؛ لأن من أحـــب شيئاً تمناه ومن تمنى شيئاً أحبه، فعلاقة اللزوم بينهما واضحة .

فليس الوُدُّ ـــ بضم الواو ـــ هو خصوص التمني ولا المحبة المفرطة، وإنما بينهما تلازم، وقرينة استعماله في التمني هي مجيء مفعوله جملة، وكلام الراغب يوحي بهذا الفهم تأمل قوله:

" الوُدُّ محبة الشيء وتمنى كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنـــيين علـــى أن التمني يتضمن معنى الود ؛لأن التمني هو تشهى حصول ما توده ... ومـــن المـــودة التي تقتضى معنى التمني : ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ وقـــال : ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ وقال :﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ـ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَيَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ـ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ . يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ .

---

(١) البيضاوى صـــ٧٥٩ .

(٢) الكشاف جـــ٤ صـــ١٥٨ .

٢ــ التمني بالفعلين " تدَّعُون " و " يدَّعُون " :

ومما وجدته قد أفاد معنى التمني في القرآن الكريم الفعل "تــدَّعون" والفعــل (يدَّعون)، وقد جاء الفعل الأول في الكتاب العزيز مرتين : المــرة الأولى في ســياق الحديث عن أهل الجنة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[١].

والمرة الثانية جاء في سياق الحديث عن الذين كفروا، وذلك في قولــه تعــالى: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [٢].

وقد ذكر المفسرون أن معنى قوله(تعالى):﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أي مــا تتمنون، وذكروا أن هذا الفعل من قولهم: ادَّع عليَّ ما شئت بمعنى تمنه عليّ، وفلان في خير ما ادَّعى أي في خير ما تمنى قال الزجاج: وهو من الدُّعَاء، ما يدعو به : أي أهل الجنة يأتيهم[٣].

وقد أكد هذا الكلام صاحب اللسان فقال : " وفلان فى خير ما ادَّعى أي مــا تمنى وفى التنزيل: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ معناه ما يتمنون، وهو راجــع إلى معــنى الدعاء أي ما يدَّعيه أهل الجنة يأتيهم، وتقول العرب ادَّع على ما شئت[٤].

وإطلاق الفعل "يدَّعون" ــ سواء أكان من الدُّعاء أم الادَّعاء ــ مــن قبيــل المجاز المرسل الذي علاقته المسببية؛ لأن الدُّعاء ــ بمعنى الطلــب ــ أو الادَّعــاء،

---

(١) سورة فصلت / ٣١ .

(٢) سورة الملك / ٢٧ .

(٣) البحر المحيط جـ٧ صـ٣٤٢ .

(٤) اللسان مادة : دعا .

مسبب عن التمني، وسوف نقف مع هذا الآية لنظهر مناسبة معنى التمني لسياق الآيات ومقامها .

أما الموطن الثاني ، فهو قوله تعالى ـ في سياق الحديث عن الكافرين ـ : ﴿ وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴾ [١] فلم يحمله أحد من المفسرين على معنى التمني لبعد مناسبته للسياق وعدم ملائمته للمقام.

أما الفعل "يدَّعون" فقد جاء فى القرآن الكريم مرة واحدة في سورة يس، في سياق الحديث عن أصحاب الجنة ، وذلك فى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [٢] .

وقد ذكر المفسرون في توضيحهم لمعنى الآية، أن معنى الفعل "يدَّعون" يتمنون، وهذا المعنى مناسب للمقام ومنسجم مع السياق .

ونقف مع هاتين الآيتين اللتين أفاد فيهما الفعلان: " يدَّعون " و"تدَّعون" معنى "التمني"، لنبين مناسبته للمقام وانسجامه مع السياق .

الموطن الأول : وسياقه قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [٣] .

فالحق (جل وعلا) يخبر عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة ـ إذا نزلوا فى روضات الجنات ـ يكونون في شغل عن غيرهم، بما هم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم ،

---

(١) الملك / ٢٧ .

(٢) سورة يس / ٥٧ .

(٣) سورة يس / ٥٥ ـ ٥٧ .

ولهم فيها كل ما يشاءون، ولهم فوق اللذائذ التكريم والتوقير : ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ (١) .

والغرض من كل هذا، الترغيب في الجنة ونعيمها، ويتضمن هذا الترغيب في عمل الصالحات؛ لأنها الطريق الموصلة إليها، ولله در القائل:

ومن يَخْطُبِ الحسناءَ لم يُغْلِها المهرُ

والحق(سبحانه)بعدما بين في هذا الترغيب، أن أصحاب الجنة وأزواجهم مشغولون بما يُلذُّهم ويُمْتعهم ــ قال في نهايته : ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ ،والتنكير في قوله : "فاكهة" ــ وهو المسند إليه ــ للعموم، أي جميع أنواعها ، وهو أيضا يفيد التعظيم ؛ لأن فاكهة الجنة أعظم من فاكهة الدنيا؛ إذ ليس فى الدنيا من الجنة إلا الأسماء .

ثم قال (سبحانه) : ﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ أي ما يطلبون والمعنى: مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ .

وقد حمل المفسرون هذا الفعل على معنى التمني، واتكأوا في هذا الحمل على الموروث من استعمال العرب لهذه الكلمة؛ إذ تقول العرب: فلان فى خير ما ادَّعى أي ما تمنى، وتقول : ادَّع علىّ ما شئت أي: تمن علىَ ما شئت(٢) .

---

(١) يس / ٥٨ .

(٢) البحر المحيط جـ٧ صـ٣٤٢ .

وحمل هذا الفعل على هذا المعنى مناسب للمقام والسياق؛ لأن المقام مقام ترغيب في الجنة، كما أن السياق يوحي بعميم فضل الله (سبحانه) على أصحاب الجنة .

وكل هذا يناسبه حمل الفعل "يدَّعون" على معنى التمني وليس الطلب أو الدُّعاء أو الادَّعاء؛ لأن التمني معنى في القلب، والطلب وغيره يكون باللسان، وكأن المعنى: أن ما يخطر ببال أصحاب الجنة يجدونه ماثلا أمامهم ، وهذا المعنى أبلغ في بيان فضل الله على أصحاب الجنة وأوفق لمقام الترغيب وسياقه .

ودلالة هذا الفعل على معنى التمني من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته المسببية؛ لأن الدُّعاء مسبب عن التمني فلا يطلب الإنسان شيئا إلا إذا كان يحبه ويتمناه .

الموطن الثاني : وسياق الموطن الثاني هو قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (١) .

ومن خلال النظر في هذا السياق ندرك أن المقام مقام وعد؛إذ وعد الحق (جل وعلا) فيه الذين آمنوا وأخلصوا العمل لله بأن الملائكة سوف تتنزل عليهم لتبشرهم بذهاب الشر وحصول الخير، ثم تقول لهم :إننا معكم في الدنيا نسددكم ونحفظكم بأمر الله ، وكذلك نكون معكم في الآخرة نوصلكم إلى جنات النعيم .

---

(١) سورة فصلت / ٣٠ ــ ٣١ .

ثم قالوا: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ أي: ولكم في الجنة من جميع ما تختارون ما تشتهيه النفوس وتَقْربه العيون ، و ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أي :مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم .

وقد حمل المفسرون الفعل "تدَّعون" على معنى تتمنون ، وهذا المعنى أوفق بمقام الوعد وسياق الترغيب ؛ لأنه يوحي بأن ما يخطر على بالهم، وتتمناه قلوبهم يتحقق لهم، وفي هذا بيان لفضل الله (سبحانه) على الطائعين المستقيمين .

٣ - (لو) :

ومما ينتمي إلى الخبر في الأصل، ويفيد معنى التمني هو حرف (لو)؛ إذ هو في الأصل ــ كما قال سيبويه ــ حرف لما كان سيقع لوقوع غيره[1]، ثم استعمل في إفادة معنى التمني، والقرينة على ذلك هي نصب الفعل المضارع بـ (أن) مضمرة وجوباً بعد الفاء ؛ إذ لا ينصب الفعل المضارع بـ (أن) مضمرة بعد الفاء إلا بعد الأشياء الستة التي هي الاستفهام، والتمني، والعَرْض ــ ويدخل فيه التحضيض ــ والأمر، والنهي ــ ويدخل فيهما الدُّعاء ــ والنفي .

وإنما حُمِلَت (لو) حينئذ على إفادة معنى التمني لشيوع استعمالها فيه؛ لأن (لو) في الأصل تدخل على المحال والممنوع ، والمحال يُتَمَنَّى كثيراً ــ وإن احتملت الاستفهام والنفي لكن الأكثر شيوعاً التمني ــ والحمل على الشائع أولى[2].

---

(١) الكتاب جـ٢ صـ٣٠٧ .

(٢) راجع شروح التلخيص جـ٢ صـ٢٤١ .

وقد اختُلف في (لو) إذا كانت للتمني فقيل: هي قسم برأسها لا تحتاج إلى جواب كجواب الشرط، ولكن قد يؤتى لها بجواب منصوب كجواب (ليت) .

وقال بعضهم :هي (لو) الشرطية أُشرِبَت معنى التمني بدليل أنهم جمعوا لها بين جوابين : جواب منصوب بعد الفاء ،وجواب باللام لقوله:

فَلَوْ نُبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ فَيُخْبِرَ بِالذَّنَائِبِ أَيَّ زِيرِ

بِيَوْمِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ عَيْنًا وَكَيْفَ لِقَاءُ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ

وقال ابن مالك: هي لو المصدرية أغنت عن فعل التمني.[1] وأقرب هذه الأقوال إلى القبول ، هو القول بأن (لو) المستعملة فى التمني ليست قسماً برأسها، وإنما هي فى الأصل (لو) الشرطية قد أُشرِبت معنى التمني، وقد نص على هذا بعض النحاة، ورجّحه بعض الباحثين، وذكر في وجه ترجيحه، أنه يغنينا عن تكثير الأدوات والقواعد المتصلة بها، ومما يؤيد هذا ويرجحه أن معناها الأصلي لا ينفك عنها، حينما تستعمل لإفادة معنى التمني ، بل يظل عالقاً بها جاعلاً لها مذاقاً مختلفاً عن بقية أدوات التمني[2].

وبناء على هذا ، فإن إفادة (لو) للتمني تكون من باب المجاز، ووجه التجوز فيها إما أن يكون من باب الاستعارة التبعية؛ لأن (لو) تدل على الامتناع والتمني يكون لما يمتنع ، وإما أن يكون من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته الإطلاق والتقييد أو اللزومية ؛ لأن الشيء العسير المنال يكثر تمنيه .

---

(١) مغنى اللبيب لابن هشام بحاشية الشيخ محمد الأمير جـ١ صـ٢١٢ .

(٢) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين صـ٥٣٢ وراجع التمنى فى البلاغة العربية صـ٢٣٣ .

على أن استعمال (لو) فى التمني لا يعنى أنها تُفَرَّغ من معناها الأصلي ــ وهو الامتناع ــ تماماً؛ بل تظل متمسكة بأهدابه مما يجعل لها مذاقاً خاصاً بها بين أدوات التمني؛ إذ تزيد هذه الأداة المُتَمَنَّى عزة وبُعْداً؛ ولذا فإن لها مقاماً معيناً يطلبها ويتناسب معها، وهو مقام استحالة المطلوب أو بُعْده .

ومن ثَمّ فقد ذكر الدسوقي (رحمه الله) ،أن نكتة العدول عن التمنى بـ (ليت) إلى التمني بـ (لو)، هي الإشعار بعزة المُتَمَنَّى حيث يُبْرَز في صورة ما لم يوجد؛ لأن (لو) بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع[1] .

ونحاول فيما يلي الوقوف مع الآيات التي جاءت فيها (لو) وقد حُمِلَت فيها على معنى التمنِّي ــ لنوضح كل ما سبق ، وقبل البدء في هذا أنبه ــ من خلال التدبر فى الآيات التي حُمِلَت فيها (لو) على معنى التمنى ــ إلى أن هذه الآيات منها ثلاث آيات كان التمني فيها واضحاً؛ ولذا فقد اجتمعت كلمة العلماء على القول بالتمني فيها .

وبقية الآيات كان التمني فيها خافتاً، ومن ثم فإن كلمة العلماء لم تجتمع عليه، ونبدأ فى توضيح ذلك والله المستعان .

أولا ــ الآيات التى حملها الجمهور على معنى التمنِّي :

وهذه الآيات ثلاث ، وقد جاءت كلها ضمن مشاهد الآخرة أي في مقام قد تأكد للمُتَمَنِّي ألا سبيل إلى تحقيق أمنيته لاستحالتها، وهذه الآيات هى :

---

(١) حاشية الدسوقى ــ ضمن شروح التلخيص ــ جـ٢ صـ٢٤١ .

١ - قوله (تعالى) : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾(١).

فهذه الآية جاءت في سياق تهديد الظالمين، الذين اتخذوا من دون الله أنداداً فظلموا الحق، وظلموا أنفسهم .

ومن يراجع هذا السياق يجد أن الحق (جل وعلا)، قد هددهم وتوعدهم بأنهم لو تطلعوا ببصائرهم إلى يوم يقفون بين يدى الله الواحد- يوم يرون العذاب الذي ينتظرهم-، لرأوا أن القوة لله جميعاً ــ فلا شركاء، ولا أنداد ــ ﴿وأن الله شديد العذاب﴾ وقد بين الحق (سبحانه) شدة العذاب فقال : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾(٢) .

فعرض لمشهد من مشاهد هذا اليوم ، من شأن هذا المشهد أن يكشف عن أهوال هذا اليوم وأفزاعه وشدة عذابه .

إنه مشهد التبرؤ ،والتعادى، والتخاصم بين التابعين والمتبوعين، بين المحبين والمحبوبين ، فهو مشهد مؤثر ؛ إذ تبرأ المتبوعون من التابعين، ورأوا العذاب فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب، وانشغل كل بنفسه تابعاً كان أو متبوعاً ،وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها، وعجزت عن وقاية أنفسها فضلاً عن وقاية تابعيها، وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة وكذب القيادات الضالة وضعفها .

---

(١) البقرة / ١٦٧ .

(٢) البقرة / ١٦٦ .

وفى أثناء هذا السياق الذي يصور الموقف بدقة حكى الحق (سبحانه) قولاً مكروباً حسيراً للذين اتبعوا : ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ وهذا القول يوحي بحنق التابعين وغيظهم من المتبوعين، كما يوحي بندمهم وحسرتهم؛ لأنهم يتمنون العودة إلى الدنيا ليتبرءوا من تبعيتهم لتلك القيادات، التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب ؛ وغرضهم من هذا أن يشفوا غيظهم من رؤسائهم، الذين خذلوهم بالتبرؤ منهم أمام العذاب[1] .

فـ (لو) في الآية الكريمة مستعملة فى معنى التمني، والدليل على هذا نصب الفعل المضارع بـ (أن) مضمرة بعد الفاء فى جوابها وهو قولهم : "فنتبرأ" ، ولا ينصب الفعل المضارع المقرون بالفاء في جوابها، إلا إذا كانت مستعملة في التمني، فهي في هذا نظيرة (ليت) في قوله (تعالى) : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [2] فكأنهم قالوا: ليت لنا كرة فنتبرأ منهم .

وهم بهذا يتمنون الرجوع إلى الدنيا ـ بعدما علموا الحقيقة وانكشف لهم سوء صنيعهم ـ ليطيعوا الله(سبحانه) ويتبرءوا من زعمائهم في الآخرة ، إذا حشروا جميعاً مثلما تبرأ هؤلاء الزعماء أولاً منهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم ، وكأنهم أرادوا أن ينتقموا منهم لما حصل منهم من انفصالهم عنهم[3] .

وقد أفاد التمني في هذا السياق، المبالغة في شدة العذاب الذي هددهم الحق (جل وعلا) به ؛ لأنهم يتمنون الخلاص منه والعودة إلى الدنيا، كما يوحي التمني

---

(١) فى ظلال القرآن جـ٢ صـ١٥٤ .

(٢) النساء / ٧٣ .

(٣) روح المعانى جـ٢ صـ٣٦ .

بحنق الأتباع وغيظهم البالغ من المتبوعين؛ لأنهم يتمنون العودة إلى الدنيا؛ لينتقموا منهم فيردون لهم الجميل.

أضف إلى هذا أنك تشعر من خلال هذه اللهجة المكروبة الحزينة بحسرة الأتباع، وندمهم على متابعتهم لكبرائهم في الدنيا، وفوات مُتَمَنَّاهم في الآخرة.

وإذا كان عَرْض طلبهم في أسلوب التمني يدل على شدة رغبتهم في تحقيق المُتَمَنَّى ــ على الرغم من استحالته أو بُعْده ــ فإن اختيارهم لأداة التمنى (لو) يُوحى بعزة المُتَمَنَّى واستحالته، فهو يزيد هذه الأمنية بُعْداً على بُعْد، ومن ثم فإن هذا الكلام يشعر بلذعة الحرمان.

وقد يقال: إذا كان هؤلاء الأتباع عالمين باستحالة أمنيتهم فلم يلجأون إلى أسلوب التمني؟

والجواب عن هذا أن باب التمني واسع، يجد الإنسان فيه راحته وسلوته حينما يضيق عليه الواقع الفسيح.

وقد جاء التعقيب على هذا التمني مؤيس مؤلم: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (١).

والآية الثانية، وهي قوله (تعالى): ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) جاءت هي الأخرى على لسان الكافرين الغاوين في الآخرة، وهم يختصمون مع آلهتهم في سواء الجحيم، بعدما كُبْكِبُوا فيها جميعا، وبعد ما تأكد لهم عدم شفاعة آلهتهم وعدم نفع أي شيء لهم.

---

(١) البقرة / ١٦٧.

(٢) سورة الشعراء / ١٠٢.

والظاهر أن هذه الجمل كلها متعلقة بقول إبراهيم (عليه السلام)؛ أخبر بما أعلمه الله من أحوال يوم القيامة وما يكون فيها من حال قومه.

وقد أوحى كلام الفخر الرازي بأن هذا الكلام من كلام الله قد حكاه عن الكافرين [1] .

وسواء أكان هذا الكلام من كلام الله- قد حكاه عنهم- أم كان من كلام إبراهيم-، قد أخبر به عنهم بما أعلمه الله من أحوال يوم القيامة وما يكون فيها من حال قومه ـ فإنه يصور الموقف تمام التصوير ويُوحي بشدة وهول الموقف الذي يعيشه الكافرون الغاوون ، الذين ضلوا الطريق وكذبوا بيوم الدين .

فهم من شدة الموقف يتمنون الرجعة إلى الدنيا مرة ثانية، وذلك بغية الإيمان بالله (عزوجل) ، فكأنهم يقولون: ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين، فلا ينالنا إذا متنا فبعثنا مثلما نحن فيه من العذاب الذى لا ينفع فيه أحد .

هذه أمنيتهم، لكن الأوان قد فات ، فلا رجعة، ولا آلهة تشفع، ولا أصدقاء تنفع؛ لأن هذا اليوم يوم الدين .

والذي أفاد التمني في الأسلوب هو (لو)، حيث ذكر جمهور المفسرين أنها في الآية مستعملة في التمني، بدليل نصب قوله(سبحانه) ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فى جوابها، وأصلها ـ كما ذكرت من قبل ـ (لو) الامتناعية، وحيث إن التمني يكون لما يمتنع فقد أريد بها ذلك مجازاً مرسلاً أو استعارة تبعية، ثم شاع حتى صارت كالحقيقة فى ذلك، وقيل هي حقيقة فيما ذكر ، وقيل أصلها المصدرية وليس بشيء.

---

(١) التفسير الكبير جـ٢٤ صـ١٣٢ .

وجُوِّز كون (لو) فى الآية شرطية وجوابها محذوف ، والتقدير: لفعلنا من الخيرات كيت وكيت .، أو لخلصنا من العذاب ، أو لكان لنا شفعاء وأصدقاء ، أو ما أضلنا المجرمون والتقدير الأول ــ وهو الحمل على التمنّي ــ أجزل ؛ ومن ثم قال الألوسي : والحق أنه لا ينبغي الالتفات إلى احتمال شرطية (لو) والتكلف له مع جزالة المعنى الظاهر المتبادر[1].

وعقب أبو السعود بقوله : ويأباه قوله (تعالى) : ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لتحتم كونه جواباً للتمنّي مفيداً لترتب إيمانهم على وقوع الكرة ألبتة بلا تخلف، كما هو مقتضى حالهم[2].

ومن ثم فإن حمل (لو) على معنى التمني ــ فرق أنه رأى الجمهور ــ أوفق بالسياق وأليق بالمقام، وندرك ذلك حينما نراجع سياق هذه الآية .

فهم قد كُبكِبوا هم وآلهتهم وجنود إبليس أجمعون فى الجحيم ، وإننا لنكاد نسمع من جرس لفظ الكَبْكَبَة صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام ، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف فهو لفظ مُصوّر بجرسه لمعناه[3].

ثم يمضي السياق ويحكي عنهم قوله فيقول : ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [4] وهذا

---

(١) راجع روح المعانى جـ١٩ صـ١٠٦ .

(٢) تفسير أبي السعود جـ٤ صـ١٧١ .

(٣) الظلال جـ٥ صـ٢٦٠٥ .

(٤) سورة الشعراء / ٩٦ ــ ٩٨ .

اعتراف منهم بذنبهم قد صَدَّرُوا به كلامهم أملاً في العفو عنهم ، ثم قالوا : ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ وهذه محاولة منهم في الاعتزار ، ولن ينفعهم اليوم اعتزارهم؛ ولذا فقد قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ، وهذا خبر مستعمل فى التحسر والتوجع؛ لأنهم يتحسرون على عدم الشفيع والصديق ، ثم فرَّعوا على هذا التحسر والندامة ،تمني أن يعادوا إلى الدنيا مرة واحدة ليتداركوا أمرهم فى الإيمان بالله وحده، وهذه الأمنية مستحيلة لكن تمنيهم لها يوحى برغبتهم فيها وحبهم لها، وفى اختيار أداة التمني (لو) إظهار لعزة المُتَمَنَّى وإشعار ببعده .

وقد أوحى التمني في هذا المشهد بهول الموقف وشدته، كما أوحى بحسرتهم وندامتهم؛ لأنهم تمنوا حين لا ينفعهم التمني، وندموا حين لا ينفع الندم .

والآية الثالثة وهى قوله (تعالى) : ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١] جاءت فى سياق آيات تصوِّر مشهداً من مشاهد الكافرين فى الآخرة، وهو مشهد مجيء العذاب بغتة وهم لا يشعرون .

وهذا السياق هو قوله (تعالى): ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٢] .

(١) سورة الزمر / ٥٨ .

(٢) الزمر / ٥٦ ــ ٥٨ .

والظاهر ــ كما ذكر الطاهر بن عاشور ــ أن هذا القول كان جهرة، وهـذا شأن الذي ضاق صبره عن إخفاء ندامته في نفسه، فيصرح بما حدَّث بـه نفسه، فتكون هذه الندامة المُصَرَّحُ بها زائدةً على التي أسرَّها.

ويجوز أن يكون قولاً باطناً في النفس، وقد حكى كلام النفس فى ذلك الموقف على ترتيبه الطبيعى فى جولانه فى الخاطر، بالابتداء بالتحسر على ما أوقعتْ فيه نفسها، ثم بالاعتذار والتنصل طمعاً أن ينجيها ذلك، ثم بتمني أن تعود إلى الدنيا لتعمل الإحسان كقوله تعالى: ﴿قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت﴾ فهذا الترتيب فى النظم هو أحكم ترتيب، ولو رتب الكلام على خلافه لفاتت الإشارة إلى تولد هذه المعاني في الخاطر حينما يأتيهم العذاب. وهذا هو الأصل فى الإنشاء ما لم يوجد ما يقتضى العدول عنه[1].

و(أو) في النظم الجليل للتنويع لما تقوله النفس فى ذلك اليوم، وهى تدل على أن النفس لا تخلو عن هذه الأقوال تحسراً وتحيراً وتعللاً بما لا طائل تحته[2].

فكلام الكافر قد تضمن ثلاثة أشياء: أولها الحسرة على التفريط فى طاعة الله، وكان هذا فى الآية الأولى، وهى قوله (تعالى): ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾ أى كراهة أن تقول نفس.

وهذه الآية تدل على غاية الأسف ونهاية الحزن، ويناسب هذا التفريط فى طاعة الله وجنابه الأعظم.

---

(١) راجع تفسير التحرير والتنوير جـ٢٤ صـ٤٦ ــ ٤٨.

(٢) تفسير البيضاوى ــ على هامش حاشية الشهاب جـ٧ صـ٣٤٧.

٥٤٨

ونداء الحسرة يوحي بكثرة حسراتهم يومئذ ـ والحسرة : الندامة الشديدة، فكأنه ـ من فرط حسرته ـ يقول لها: هذا وقتك فاحضرى فأنا محتاج إليك أي إلى التحسر .

وتعدية الحسرة بحرف الاستعلاء، كما هو غالبها للدلالة على تمكن التحسر من مدخول (على) .

على أن نداء الحسرة من قبيل الاستعارة المكنية بتشبيه الحسرة بالعاقل الذى ينادى ليقبل ، والنداء من روادف المشبه به المحذوف .

وقد ذكر الطاهر بن عاشور أن ذلك التركيب قد شاع فى كلامهم حتى صار كالمثل لشدة التحسر[1] .

وجملة : ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ خبر مستعمل في إنشاء الندامة، على ما فاتها من قبول ما جاءها به الرسول من الهدى، فكانت تسخر منه ، والجملة حال من فاعل فرَّطت، أي فرَّطت في جنب الله تفريط الغافل، وهذا إقرار بصورة التفريط .

وقوله "من الساخرين" أشد مبالغة فى الدلالة على اتصافهم بالسخرية من أن يقال : وإن كنت لساخرة[2] .

ثانيها : التعلل بفقد الهداية ، وذلك في الآية الثانية ، وهي قوله (تعالى): ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ، وقوله : "من المتقين" كالكلام في

---

(١) التحرير والتنوير جـ٢٤ صـ٤٧ .

(٢) المصدر السابق .

قوله :"من الساخرين" فهي أشد مبالغة في الدلالة على اتصافهم بالتقوى من أن يقال : لكنت متقياً .

وقد أجاب الحق (جل وعلا) عن كلامهم ، وبين أن التعلل بفقد الهداية باطل؛ لأن الهداية كانت حاضرة، والأعذار زائلة فقال (سبحانه): ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١) .

وثالثها : تمني الرجعة إلى الدنيا، وجاء ذلك في قوله (تعالى) : ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فنفس الكافر تتمنى الرجعة إلى الدنيا لتكون من المحسنين، وقد مهدت لهذا التمني بتحسرها في الآية الأولى ، وتعللها بفقد الهداية في الآية الثانية .

والذي أفاد التمني هنا هو (لو)، فهي بمعنى ليت؛ وذلك لأن بين معنييهما تلاقياً في معنى الغرض والقدير .

والمُتَمَنَّى : هو الكرة، أي الرجعة إلى محل كان فيه الراجع، وهي مرة من الكرة، ولذلك تطلق في القرآن على الرجوع إلى الدنيا؛ لأنه رجوع لمكان سابق، وحذف متعلق الكرة هنا لظهوره(٢).

وهذا الأمر الذي تتمناه نفس الكافر من المستحيلات؛ ولذا فقد لجأت إلى طلبه من خلال أسلوب التمني الذي لا يكون إلا في المستحيل أو البعيد .

كما أن اختيار الكافر لـ(لو) يوحي بعزة المُتَمَنَّى وبُعْده، وقد أفاد طلب المستحيل المبالغة في شدة العذاب، الذي شاهدته نفس الكافر؛ لأنها حينما رأته تتمنى

---

(١) سورة الزمر / ٥٩ .

(٢) التحرير والتنوير جـ٢ صـ٩٩ .

الرجوع إلى الدنيا، لتكون من المحسنين ، واختيارهم الإحسان هنا دون الإيمان — كما فى الآيتين السابقتين — يناسب شدة العذاب وهول الموقف ٠

كما أكد التمنّي حسرة الكافر وندامته اللتين أفصح عنهما في أول المشهد، على أن الكافر قد لجأ إلى التمني ليجد فيه راحته، وذلك حينما ضاق عليه الواقع الفسيح ٠

وقوله : "فأكون" جواب التمني منصوب بـ (أن) مضمرة وجوباً بعد الفاء ، ونصبه على هذا الوجه قرينة على استعمال (لو) في إفادة معنى التمني ٠

وأجاز أبو حيان أن يكون قوله: "فأكون" منصوباً بالعطف على كرة؛ إذ هو مصدر فيكون مثل قوله:

فمالك منها غير ذكرى وحسرة وتَسألَ عن ركباتها أين يمموا

وقول الآخر :

للبس عباءة وتقرَّ عيني أحبُّ إليَّ من لبس الشُّفُوف

والفرق بينهما أن الفاء إذا كانت فى جواب التمني كانت(أن)واجبة الإضمار، وكان الكون مترتباً على حصول المُتَمَنَّى لا مُتَمَنّى، وإذا كانت للعطف على كرة جاز إظهار (أن) وإضمارها، وكان الكون مُتَمَنّى[1] ٠

وما يقال في جواب التمني هنا فإنه يقال في جواب التمني في الآيتين السابقتين .

وبعد الوقوف مع التمني في هذه الآيات فإننا نلاحظ ما يأتى :

١ – أن التمني كان ضمن مشاهد الآخرة، وذلك عند مشاهدة العذاب ومقاساة آلامه ٠

---

(١) تفسير البحر المحيط جـ٧ صـ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، وراجع القرطبى جـ١٥ صـ٢٧٢ ٠

٢ – أنه كان على لسان الكافرين .

٣ – أن المتمنى كان شيئاً واحداً، وهو الرجوع إلى الدنيا .

٤ – أنه وإن كان المُتَمَنَّى شيئاً واحداً إلا أن سبب هذا التمني ومقامه كان مختلفاً ؛ لأن الكافرين فى الآية الأولى ــ وهى آية البقرة ــ تمنوا الرجوع إلى الدنيا عندما شاهدوا العذاب، وقد تبرأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتُّبِعوا، وتقطعت بينهم الأواصر، فالخصام كان بين الكافرين .

وفى الآية الثانية ــ وهى آية الشعراء ــ تمنوا الرجوع إلى الدنيا عندما كُبْكِب الكافرون وآلهتهم فى الجحيم ، وقد سماهم الحق (جل وعلا) جميعاً جنود إبليس ، والخصام كان بين الكافرين والآلهة .

وفى الآية الثالثة ــ وهى آية الزمر ــ تمنى الكافر الرجوع إلى الدنيا عند رؤية العذاب ، وقد جاءه بغتة من غير أن يشعر ، وكان الحوار فى هذا المشهد بين الكافر ونفسه، فهو يلومها ويوبخها ويتحسر على تفريطها فى جانب الله .

كما أن جواب التمني في الآيات الثلاث مختلف، فهم في الآية الأولى تمنَّوا الرجعة إلى الدنيا ليتبرءوا من المتبوعين كما تبرءوا منهم، وبذلك يردون لهم الجميل، فمن الملاحظ أن الحنق والغيظ قد ملأ نفوس الأتباع من المتبوعين .

وفى الآية الثانية تمنوا الرجعة ليؤمنوا، فبعدما أرادوا التشفي في الآية الأولى من زعمائهم اتجهوا في الآية الثانية لأنفسهم فتمنَّوا الإيمان، ويلاحظ أن الحسرة قد سيطرت عليهم فى هذه الآية .

وفى الآية الثالثة زادت حسرتهم ؛ إذ تحسرت كل نفس من نفوس الكافرين على التفريط فى جانب الله ، ثم تعللت بفقد الهداية ، ثم تمنَّت الرجعة إلى الدنيا لتكون من المحسنين ، فالتمني في هذا المشهد كان مفرداً ؛ لأنه على لسان الكافر، ويعكس اختياره الإحسان ــ وهو مرتبة تفوق مرتبة الإيمان ــ دون الإيمان مدى رغبته في الخلاص.

ثانيا ــ الآيات التى تحتمل (لو) فيها معنى التَمَنّى وحملها بعض العلماء عليه :

وبإمعان النظر فى المواطن التى جاءت فيها (لو) في الكتاب العزيز، وبمراجعة سياقاتها نجد أن (لو) قد أُشرِبت معنى التَمَنّي في آيات كثيرة من جملة مواقعها وهى مائتان وواحد .

و(لو) فى هذه المواطن قد يكون لها جواب ــ ملفوظ أو مقدر ــ وقد لا يكون ، ولا بأس فى هذا ؛ لأنه قد جاء فى كلام العرب، التصريح بجواب (لو) المُشْرَبَة معنى التمني بعد الفعل المنصوب بـ (أن) بعد الفاء ، وذلك فى قول مهلهل:

فلو نبش المقابر عن كليب ... فيخبر بالذنائب أى زير

بيوم الشعثمين لقر عينا ... وكيف لقاء من تحت القبور

فإن (لو) فيه للتمني بدليل نصب (فيخبر) ، وله جواب وهو قوله (لقر) .

وقد عرض لهذه القضية الشهاب الخفاجي، وبين أن (لو) إذا كانت للتمني فلا يكون لها حينئذ جواب ملفوظ ولا مقدر عند الجمهور، وقد خالف فى ذلك ابن مالك وأبو حيان، وقالا لابد لها من الجواب استدلالاً بقول مهلهل السابق.

ورد بأنها شرطية، ونصبه عطفاً له على المصدر المتصيد من نبش، وتقديره لو حصل نبش فإخبار وهو تكلف. وقال الشهاب ــ رحمه الله ــ : ولو قيل : إنما

لتقدير التمني معها كثيراً أعطيت حكمه فاستُغْنِي عن تقدير الجواب فيها إذا لم يذكر كما فى الوصلية ونصب جوابها كان أسهل مما ذكر[1].

إذاً فوجود الجواب وعدمه لا يؤثر على استعمال (لو) في التَمَنِّي، كما أوحى بذلك كلام الشهاب الخفاجي؛ لأن (لو) قد حُمِلَت على معنى التمني مع وجود الجواب وعدمه .

على أن هناك فرقاً بين هذه المواقع وبين الآيات الثلاث السابقة، وهو أن فى الآيات السابقة قرينة تقوى إرادة التمني ، وهى نصب الفعل المضارع بـ (أن) مضمرة وجوباً بعد الفاء فى جواب (لو)، وهذا ما حمل الجمهور على حملها على معنى التمني في هذه الآيات؛ لأن (لو) لا تُجَاب بهذا الجواب إلا إذا كانت بمعنى التمني .

أما هذه المواقع التى نحن بصدد الوقوف معها ، فليس لها جواب من هذا القبيل ؛ ولذا فهي تحتمل أن تكون شرطية وأن تكون للتمني، وذلك لما بين الشئ الممتنع ـ الذى تدل عليه لو ـ وبين كونه مُتَمَنًّى من المناسبة؛ لأن المُمْتَنِع يُتَمَنَّى إن كان محبوباً قال الشاعر :

وأحبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنِعَا

والآيات التي تحتمل (لو) فيها إفادة معنى التمني هي:

١ - قوله تعالى : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [2] .

---

(١) راجع حاشية الشهاب جـ صـ ١٥٠، وروح المعانى جـ ٢١ صـ ١٢٧ .

(٢) البقرة / ١٠٢ .

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[1]

٣ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾[2] .

٤ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾[3]

٥ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾[4] .

٦ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾[5] .

٧ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾[6] .

٨ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[7] .

٩ - قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾[8] .

---

(١) البقرة / ١٠٣ .

(٢) آل عمران / ١١٠ .

(٣) النساء / ٤٦ .

(٤) النساء / ٦٤ .

(٥) النساء / ٦٦ .

(٦) الأنعام / ٩٣ .

(٧) الأعراف / ٩٦ .

(٨) الأعراف / ١٥٥ .

١٠ - قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١) .

١١ - قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (٢) .

١٢ - قوله تعالى : ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٣) .

١٣ - قوله تعالى : ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٤) .

١٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٥) .

١٥ - قوله تعالى : ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٦) .

١٦ - قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧) .

١٧ - قوله تعالى : ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ (١) .

---

(١) الأنفال / ٥٠ .

(٢) التوبة / ٥٩ .

(٣) التوبة / ٨١ .

(٤) هود / ٨٠ .

(٥) النحل / ٤١ .

(٦) الأنبياء / ٣٩ .

(٧) المؤمنون / ١١٤ .

١٨ - قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ (٢) .

١٩ - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

٢٠ - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤)

٢١ - قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (٥) .

٢٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ (٦) .

٢٣ - قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٧) .

٢٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٨) .

٢٥ - قوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (١)

---

(١) الشعراء / ١١٣ .
(٢) القصص / ٦٤ .
(٣) العنكبوت / ٤١ .
(٤) العنكبوت / ٦٤ .
(٥) السجدة / ١٢ .
(٦) سبأ / ٣١ .
(٧) سبأ / ٥١ .
(٨) الزمر / ٢٦ .

٢٦ - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٢) .

٢٧ - قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣) .

٢٨ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤)

٢٩ - قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ (٥)

فـ (لو) في كل هذه الآيات تحتمل أن تكون للتمني وأن تكون شرطية؛ ولذا فإننا نجد بعض العلماء يركز على أحد المعنيين دون الآخر، ويكتفي بحمل (لو) عليه، ويركز بعضهم على المعنى الآخر ويكتفي به.

على أنني أميل إلى أن معنى التمني ـ سواء أشير إليه أم لم يشر ـ موجود وملاحظ في كل هذه الآيات، ويُعين على إدراكه السياق والمقام، بحيث لا يستطيع من عنده ذوق في نقد الكلام، وتمرس في تمييز معانيه أن ينكر هذا المعنى.

وأنبه إلى أنه ربما يضيف بعض العلماء إلى هذه الآيات آيات أخر، وربما يحمل بعضهم (لو) في هذه الآيات على الشرطية أو الامتناعية فقط، فالمسألة إذا احتمالية.

كما أنبه إلى أن جواب (لو) قد ذكر في بعض هذه الآيات، ولم يذكر في بعضها الآخر، ولم يؤثر هذا على معنى التمني وجوداً وعدماً.

ونحاول أن نقف فيما يأتي مع بعض هذه الآيات، لنعرض لبعض أقوال علمائنا الأجلاء، بما يؤكد لنا الكلام السابق ويوضحه:

---

(١) الحجرات / ٥ .
(٢) الواقعة / ٧٦ .
(٣) القلم / ٣٣ .
(٤) سورة نوح / ٤ .
(٥) الجن / ١٦ .

١ - قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١) .

قال الزمخشري : "ويجوز أن يكون قوله : ولو أنهم آمنوا تمنياً لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له، كأنه قيل: وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير ... "(٢) .

وقال الطاهر بن عاشور : "وقد قيل إن (لو) للتمني على حد ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾، والتحقيق أن (لو) التي للتمني هي (لو) الشرطية أُشرِبت معنى التمني؛ لأن الممتنع يُتمنى إن كان محبوباً :

وأحبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنِعَا

واستدل على هذا بأنها إذا جاءت للتمني أجيبت جوابين جواباً منصوباً كجواب (ليت) وجواباً مقترناً باللام كجواب الامتناعية كقول المهلهل :

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أي زير

بيوم الشعثمين لقر عينا وكيف لقاء من تحت القبور

فأجيب بقوله فيخبر وقوله لقرّ عيناً ، والتَمَنِّي على تقديره مجاز من الله(تعالى) عن الدعاء للإيمان والطاعة، أو تمثيل لحال الداعي لذلك بحال المتمنِّي، فاستُعْمِل له المركب الموضوع للتمني، أو هو ما لو نطق به العربي في هذا المقام لنطق بالتمني على

---

(١) البقرة / ١٠٣ .

(٢) الكشاف جـ١ صـ٣٠٢ .

نحو ما قيل فى قوله تعالى : ﴿لعلكم تتقون﴾ ونحوه، وعلى هذا الوجه يكون قوله لمثوبة مستأنفاً واللام للقسم"[1].

فقد صرح الزمخشري والطاهر بن عاشور باستعمال (لو) فى الآية في معنى التمني، كما وجها إسناد التمني إلى الله (عزوجل)، فذكر الزمخشري أن تمني الله إيمانهم مجاز عن إرادة الله إيمانهم، واختيارهم له ، أي أنه مجاز مرسل علاقته اللزومية أو استعارة تبعية .

وأضاف ابن عاشور وجهين آخرين لتوجيه إسناد هذا التمني لله: الأول: أن يكون ذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية بتشبيه حال الداعي للإيمان بحال المتمني لذلك، ثم إطلاق المركب الموضوع للتمني على ذلك .

الثاني: أن هذا التمني في حيز البشر وعلى شك المخاطبين، فكأنه قال: افعلوا ذلك على التمني منكم .

٢ - قوله تعالى : ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [2] .

قال القاضي عبد الجبار : " ... والمراد به : أنه تمنَّى أن تكون له القوة على إهلاكهم أجمع ، لعظيم ما كان يرد عليه من معايبهم وإقدامهم على المنكر، ومحاجتهم له بالباطل ، ولذلك قال :﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ فتمنَّى مع ذلك أن تكون فى قومه كثرة وقوة ليزل بهم ما يستحقون .

وما تقدم من الكلام وما تأخر عنه يدل على ما ذكرناه[1].

---

(١) التحرير والتنوير جـ١ صـ٦٤٩ وما بعدها .

(٢) هود / ٨٠ .

وقال الطاهر : " وجوابه بـ ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ جواب يائس من ارعوائهم . و(لو) مستعملة فى التمني، وهذا أقصى ما أمكنه فى تغيير هذا المنكر

والمعنى : ليت لى قوة أدفعكم بها، ويريد بذلك قوة أنصار ، لأنه كان غريباً بينهم"[٢] .

فقد أشار العالمان إلى استعمال (لو) فى التمني في الآيتين ، وركز القاضي عبد الجبار على إظهار مناسبة معنى التمني للسياق .

٣ - قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [٣] .

قال الزمخشري : ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب ، أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه، أو تمنّوا لو كانوا مهتدين، أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقاً[٤] .

فقد ذكر الزمخشري(رحمه الله) احتمال استعمال (لو) فى الآية فى معنى التمني كما بين مناسبة هذا المعنى للسياق .

وذكر الطاهر لـ(لو) فى الآية خمسة أوجه منها:

---

(١) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار القسم الأول صـ٣٨٢ تحقيق الدكتور عدنان محمد زرزور ط دار التراث بالقاهرة .

(٢) التحرير والتنوير جـ١٢ صـ١٣٠ .

(٣) القصص / ٦٤ .

(٤) الكشاف جـ٣ صـ١٨٨ .

" أن تكون (لو) للتمنّي المستعمل في التحسر عنهم، والمراد اهتداؤهم فى حياتهم الدنيا كيلا يقعوا في هذا العذاب ، وفعل "كانوا" حينئذ فى موقعه الدال على الاتصاف بالخبر فى الماضى، وصيغة المضارع فى "يهتدون" لقصد تجدد الهدى المتحسر على فواته عنهم؛ فإن الهدى لا ينفع صاحبه إلا إذا استمر إلى آخر حياته"[1].

فابن عاشور تجاوز الإشارة إلى استعمال (لو) فى الآية الكريمة فى التمني إلى إظهار الغرض البلاغي المستفاد من وراء هذا الاستعمال ، وهو التحسر عليهم .

ويلاحظ ــ من خلال النظر فى الآيات التى ذكرتها سابقاً ــ أنه قد جاء على غرار هذا التذييل تذييلات كثيرة ، استُعْملت (لو) فيها في التمني للتحسر على الكافرين بعدم العلم والفقه والشعور .

٤ - قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [2].

فقد ذكر علماؤنا الأجلاء في توجيه معنى (لو) فى هذه الآية الكريمة وجهين :

الأول أنها الامتناعية، وجوابها محذوف تقديره: لرأيت أمراً فظيعاً لا يقادر قدره .

والخطاب فى "ترى" لكل أحد ممن يصح منه الرؤية ؛ إذ المراد بيان كمال سوء حالهم، وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة والدواهى الفظيعة، بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعته .

---

(١) التحرير والتنوير جـ٢٠ صـ١٦١ .

(٢) سورة السجدة / ١٢ .

فقد جيء في تصوير حالهم بطريقة حذف جواب (لو) حذفاً يرادفه أن تـذهب نفس السامع كل مذهب، من تصوير فظاعة حالهم وهول موقفهم بين يدي ربهـم ، وتوجيه الخطاب إلى غير معين لإفادة تناهي حالهم في الفظاعة والشناعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ٠

والمجرمون: إظهار في مقام الإضمار، لقصد التسجيل عليهم بأنهم في قولهم ذلك مجرمون، أي آثمون بجرم، وهو جرم تكذيب الرسول ﷺ وتعطيل الدليل ٠

الثاني : أنها للتمني، والخطاب في (ترى) خاص بسيد المخاطبين ﷺ فكأنه قيل: ليتك ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم لتشمت بهم؛ وذلك لأنه ـ ﷺ ـ تجـرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم، فجعل الله له تمنّي أن يراهم علـى تلـك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم٠

وحكم التمني منه(تعالى) حكم الترجي وقد تقدم بيان ذلك، وملخـصه أنـه يوجه إما على المجاز المرسل، أو الاستعارة التمثيلية، أو أنه في حيز المخاطبين وعلـى شكهم[1] ٠

ولا جواب لـ(لو) حينئذ عند الجمهور، وقال أبو حيان وابن مالك: لابد من الجواب استدلالاً بقول مهلهل السابق.

على أن المضي في (لو) و(إذ)؛ لأن إخباره (تعالى) عما تحقـق في علمـه الأزلي لتحققه بمنزلة الماضي، فيستعمل فيه ما يدل على المضي مجازا كـ (لو) و(إذ) ٠

---

(١) راجع الكشاف جـ٣ صـ٢٤٢ ، وتفسير البيضاوى جـ٨ صـ١٥٠ وما بعدها على هـامش حاشية الشهاب، وتفسير أبي السعود جـ٤ صـ٣٠٠ والتحرير والتنوير جـ٢١ صـ٢٢١ ، ٢٢٢ ٠

والفعل ترى منزل منزلة اللازم، فلا يقدر له مفعول أي لو تكون منك رؤيـة في ذلك الوقت لرأيت أمراً فظيعاً .

وجوز أن يقدر له مفعول دل عليه ما بعد، أي لو ترى المجرمين أو لـو تـرى نكسهم رءوسهم و(إذ) ظرف لترى[1].

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [2] .

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [3] .

وقوله تعـالى : وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[4] .

وقوله : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَآئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [5] .

على أن أبا حيان قد ذهب إلى أن (لو) في آية السجدة لم تُشْرَبْ معنى التمني، بل هي الامتناعية ، وقد اعترض على تسميتها بهذا الاسم، وارتضى أن تكون هـي التي لما كان سيقع لوقوع غيره، وعزا هذا القول إلى سيبويه .

---

(١) راجع روح المعاني جـ٢١ صـ١٢٧ وما بعدها والمصادر السابقة .

(٢) الأنفال / ٥٠ .

(٣) سبأ / ٣١ .

(٤) سبأ / ٥١ .

(٥) الأنعام / ٩٣ .

يقول رحمه الله : " والظاهر أن (لو) هنا لم تُشْرَب معنى التمني، بل هي التي لما كان سيقع لوقوع غيره، والجواب محذوف أي لرأيت أسوأ حال يرى، و(لو) تعليق في الماضي، و(إذ) ظرف للماضي، فلتحقق الإخبار ووقوعه قطعاً أتى بهما تنزيلاً منزلة الماضي ٠

ثم نقل أبو حيان كلام الزمخشري ، وعقب عليه بقوله : " والتمنى بـ (لو) في هذا الموضع بعيد، وتسميته (لو) امتناعية ليس بجيد، بل العبارة الصحيحة (لو) لما كان سيقع لوقوع غيره وهي عبارة سيبويه، وقوله قد حذف جوابها وتقديره وليتك ترى ما يدل على أنها كانت إذا للتمني لا جواب لها، والصحيح أنها إذا أُشْرِبَت معنى التمني يكون لها جواب كحالها إذا لم تشربه ٠

قال الشاعر :

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أى زير

بيوم الشعثمين لقر عينا وكيف لقاء من تحت القبور[1]

وإذا كنا نسلم لأبي حيان فى كل ما قال فإننا لا نسلم فى اعتراضه على وجود معنى التمني في آية السجدة ومثيلاتها ؛ إذ ينقضه مناسبة هذا المعنى للسياق، والمقام ، والغرض المقصود من النظم الكريم ، وقول جمهرة من العلماء به ٠

٥ - قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[2] الآية ٠

---

(١) البحر المحيط جـ٧ صـ٢٠٠ وما بعدها ٠

(٢) الأعراف / ١٥٥ ٠

قال الزمخشري : " وهذا تمن منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المغبة: لو شاء الله لأهلكني قبل هذا .."[١] فقد صرح الزمخشري باستعمال (لو) في الآية في معنى التمني، وتبعه في هذا جمع من العلماء ، منهم البيضاوي، كما ذكره الطاهر بن عاشور أحد قولين.

يقول البيضاوي رحمه الله : " تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أو بسبب آخر، أو عنى به، أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرها، فترحمت عليهم بالإنقاذ منها، فإن ترحمت عليهم مرة أخرى ولم يبعد من عميم إحسانك"[٢].

وقال الطاهر : يجوز أن تكون مستعملة في التمني، وهو معنى مجازي ناشئ من معنى الامتناع الذي هو معنى (لو) الأصلي، ومنه قول المثل : "لو ذات سوار لطمتني" إذ تقدير الجواب: لو لطمتني لكان أهون علي، وقد صرح بالجواب في الآية وهو "شئت أهلكتهم" بدل اشتمال من جملة "شئت" من قبل خطيئة القوم التي تسبب عنها الرجوع إلى المفاجأة، وعلى هذا التقدير في (لو) لا يكون في قوله "أهلكتهم" حذف اللام التي من شأنها أن تقترن بجواب (لو)، وإنما قال "أهلكتهم" وإياي ولم يقل : أهلكتنا للتفرقة بين الإهلاكين ؛ لأن إهلاك السبعين لأجل سكوتهم على عبادة العجل،وإهلاك موسى قد يكون لأجل أن لا يشهد هلاك القوم ... "[٣]

---

(١) الكشاف جـ٢ صـ١٢١ .

(٢) البيضاوى جـ٤ صـ٢٢٣ .

(٣) التحرير والتنوير جـ٩ صـ١٢٥ .

ومن خلال هذا العرض لكلام هؤلاء العلماء ندرك أن (لو) فى الآية مستعملة في التمني ، وهذا الاستعمال استعمال مجازي، وقد صرح بالجواب في الآية، ولم يتعارض هذا مع حمل (لو) على معنى التمني ، كما أنه على هذا التقدير فى (لو) لا يكون فى قوله "أهلكتهم" حذف اللام التى من شأنها أن تقترن بجواب (لو) .

وذهب أبو السعود و الألوسي إلى أن حرف (لو) مستعمل في معناه الأصلي، وهو امتناع جوابه لامتناع شرطه، والتقدير على ذلك: لو شئت إهلاكنا بذنوبنا لأهلكتنا .

والآية على هذا عرض للعفو السابق، لاستجلاب العفو اللاحق، يعني أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر، وغيرهما فترحمت عليهم ولم تهلكهم، فارحمهم الآن كما رحمتهم من قبل جرياً على مقتضى كرمك .

فكأنه يقول: فحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائم، فلا غرو في أن تعفو عنا هذه الجريمة أيضا .

وإنما قال (وإياي) تسليماً منه وتواضعاً وقيل: وإياي حين طلبت منك الرؤية وقيل: حين قتل القبطى لأهلكتنا[1] .

ويتجه على هذا الوجه السؤال عن موجب حذف اللام من جواب (لو)؛ إذ لم يقل لأهلكتهم مع أن الغالب في جوابها الماضي المثبت أن يقترن باللام، وقد حاول الطاهر بن عاشور الإبانة عن سر حذف هذه اللام، فقال : " فحذف اللام هنا لنكتة

---

(١) راجع تفسير أبى السعود جـ٢ صـ٣٠٢ وروح المعانى جـ٩ صـ٧٤ .

أن التلازم بين شرط لو وجوابها هنا قوي لظهور أن الإهلاك من فعل الله وحده، فهو كقوله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾[١].

وعقب أبو السعود على ما ذهب إليه الزمخشري بقوله : وحمل الكلام على التمني يأباه قوله تعالى : ﴿أَنُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ﴾ ؛ لأن الهمزة إما لإنكار وقوع الإهلاك ثقة بلطف الله (عزوجل)، كما قاله ابن الأنباري أو للاستعطاف كما قاله المبرد أى لا تهلكنا[٢].

كما عقب الألوسي عليه بقوله : وقيل هو تمن منه(عليه السلام) للإهلاك جميعا بسبب محبته أن لا يرى ما يرى، من مخالفتهم له مثلاً أو بسبب آخر، وفيه دغدغة[٣].

أما الشهاب الخفاجي فبعدما وضّح رأى البيضاوي الذي اتبع فيه الزمخشري، قال : وهو ــ أي الحمل على التمني ــ خلاف الظاهر ؛ لأن لو للامتناع، وإنما يتولد معنى التمني إذا اقتضاه المقام، والمقام هنا يقتضى أن لا يهلكهم حينئذ لقوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، فلا وجه لما قيل: إنه جعل المعنى على التمني لخلوه بدونه عن الإفادة ... "[٤].

وأما الطاهر بن عاشور فقد جعل معنى التمني احتمالاً قائماً في الآية، وإليه أميل؛ لأن له وجهاً يُحتمل، والقرآن ــ كما يقولون ــ حمّال أوجه .

---

(١) التحرير والتنوير جـ٩ صـ١٢٥ .

(٢) أبو السعود جـ٢ صـ٣٠٢ .

(٣) روح المعاني جـ٩ صـ٧٤ .

(٤) حاشية الشهاب جـ٤ صـ٢٢٣ .

٤ – خروج الخبر إلى معنى التمني:

وقد يخرج الخبر فى القرآن الكريم عن أصل وضعه إلى إفادة معنى التمنى ، وقد أشار إلى ذلك ابن المنير في حاشيته على الكشاف عند وقوفه عند قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1] ؛ إذ يقول رحمه الله : " وكثيراً ما تتناوب صيغة التمني والخبر ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فى قوله : ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إلى قوله : ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وهذه المعاهدة إنما كانت تمنياً بصيغة الخبر والله أعلم.

وأبين من ذلك قوله تعالى فى آية أخرى : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فهذا التمني بعينه، ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة والله الموفق"[2].

فهو فى هذا النص يشير إلى أن الخبر قد يخرج عن أصل وضعه إلى إفادة معنى التمنى ، وقد استشهد على ذلك بآيتين من الكتاب العزيز، الآية الأولى من سورة التوبة ، وهى قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [3] وقد عقّب عليها بقوله : وهذه المعاهدة إنما كانت تمنياً بصيغة الخبر، وهو – رحمه الله – دقيق فيما ذكر ؛ لأن قوله عز اسمه: ﴿لَئِنْ آتَانَا﴾ – وهو بيان للمعاهدة – يُوحي بمعنى التمني، وهو في

---

(١) سورة الأنعام / ٢٧ .

(٢) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال جـ٢ صـ ١٣ على هامش الكشاف .

(٣) سورة التوبة / ٧٥ .

الأصل خبر قد خرج إلى إفادة هذا المعنى، كما أن هـذا المعـنى ظـاهر وواضـح ومناسب لسياق الكلام ومقامه ٠

وأما الآية الثانية ــ وهي من سورة فـاطر ــ وهـي قولـه تعـالى : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾(١) ٠

فقد عقّب عليها بقوله : فهذا هو التمني بعينه "وهو على صواب فى ذلـك إلا أن قوله بعد ذلك : ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة" ليس دقيقاً؛ لأنـه لـيس بصيغة الخبر كما قال ، وإنما هو بصيغة الإنشاء الطلبي؛ لأن الذي أفـاد الـتمني في الآية الكريمة إنما هو فعل الأمر ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ وبناء على هذا فليست هذه الآية من قبيل خروج الخبر إلى معنى التمني كما هو فى الآية الأولى ٠

وشبيه بآية التوبة قوله(تعالى) في سورة الأعراف : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢) ٠

فقوله (عز اسمه) على لسان الزوجين:﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ يفيد فيه الخبر معنى التمني أي تمني أن يرزقهما الله ولداً ــ سـواء أكان ذكراً أم أنثى ــ صالحاً أي سوياً قد صلح بدنه وبـرئ، وجملـة : ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ مُبيِّنة لجملة : ﴿دَّعَوَا اللَّهَ﴾ ، وقوله: "صالحاً" وصف جـرى علـى موصوف محذوف تقديره (ولداً) وهو يعم الذكر والأنثى، وذهب الطاهر بن عاشور

---

(١) سورة فاطر / ٣٧ ٠

(٢) سورة الأعراف / ١٨٩ ٠

إلى أن التذكير فيه يُوحي بأن المحذوف تقديره: (ذكراً) وكان العرب يرغبون فى ولادة الذكور قال تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أى الذكور[1].

وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى معنى التمني في الآية فقال : "وظاهر قوله ﴿دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ أى كل أبوين يدعوان بذلك" فإن حمل على ظاهره قلنا: لا يخلو أبوان مشركان من أن يتمنيا أن يكون لهما من الحمل مولود صالح، سواء نطقا بذلك أم أضمراه فى نفوسهما ، فإن مدة الحمل طويلة لا تخلو أن يحدث هذا التمني في خلالها، وإنما يكون التمني منهم على الله، فإن المشركين يعترفون لله بالربوبية وبأنه هو خالق المخلوقات ومكونها، ولاحظ للآلهة إلا فى التصرفات فى أحوال المخلوقات كما دلت عليه محاجات القرآن لهم نحو قوله (تعالى): ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وإن حمل "دعوا" على غير ظاهره فتأويله أنه مخصوص ببعض الأزواج الذين يخطر ببالهم الدعاء..."[2].

ومن هذا الباب قوله (تعالى) : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[3].

---

(١) التحرير والتنوير جـ٩ صـ٢١٣ .

(٢) التحرير والتنوير جـ٩ صـ٢١٣ .

(٣) سورة يونس / ٢٢ .

فقوله :" لئن أنجيتنا من هذه..." بيان لقوله "دعوا الله ... " وهو يفيد معنى التمني أي تمنّي النجاة، ويُلاحظ أنه من الخبر الذى خرج إلى هذا المعنى .

على أن مجيء حرف (إنْ) الشرطية التي يغلب وقوعها فى الشرط المشكوك في وقوعه ؛ لأن المُتَمَنّي قد جعل الأمر المُتَمَنَّى أمراً مفروضاً ضعيف الاحتمال .

وأما دخول اللام الموطئة للقسم عليه، فمورد التحقيق بالقسم هو حصول الجواب لو حصل الشرط .

وكذلك التأكيد باللام والنون مورده هو جواب الشرط[1].

ويُحْمَل ــ كذلك ــ على هذا قوله(تعالى): ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [2] .

فقولها : ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ تتمنّى فيه أن يكون مولودها ذكراً ليقوم بخدمة بيت المقدس ؛ لأن خدمة هذا البيت كانت مقصورة على الذكور دون الإناث ، فالخبر قد خرج عن أصل وضعه إلى إفادة معنى التمني .

وقد أوحى كلام البيضاوي ــ رحمه الله ــ بهذا ؛ لأنه قد ذكر أنها حنت إلى الولد وتمنته فقالت: اللهم إن لك على نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من خَدَمه؛ فحملت بمريم وهلك عمران[3] والله أعلم بأسرار كتابه.

---

(١) راجع التحرير والتنوير جـ٢٥ صـ١٢ .

(٢) سورة آل عمران / ٣٥ .

(٣) تفسير البيضاوي جـ٣ صـ٢٠ على هامش الشهاب .

خاتمة البحث ونتائجه

وبعد هذه الرحلة المباركة التي عشنا من خلالها مع كتاب الله (عزوجل)نتدبره ونتأمله،وذلك بصحبة لون من الألوان البلاغية، وهو التمني، وقد حاولنا أن نتعرف على أدواته الفرعية، ودلالات هذه الأدوات وخصائصها، من خلال الوقوف مع الآيات التي جاءت فيها هذه الأدوات في رحاب الكتاب العزيز ٠

نصل إلى خاتمة البحث؛ لنرصد أبرز النتائج التي أسفر عنها هذا البحث.

وقبل رصد هذه النتائج أُذَكِّر بأن هذه الدراسة جاءت في مقدمة، ومدخل، وثلاثة مباحث، وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

فأما المقدمة فقد سجَّلت فيها أهمية الموضوع في حقل الدراسات القرآنية والبلاغية، والمنهج الذي سرت عليه فيه ٠

والمدخل: تحدَّثت فيه بإيجاز عن أدوات التمني في البلاغة العربية، وبيَّنت أصل هذه الأدوات وخصائصها ٠

و المبحث الأول وهو : دلالة الإنشاء الطلبي على التمني ٠

تحدَّثتُ فيه عن ألوان الإنشاء الطلبي ــ خلاف التمني ــ التي أفادت التمني كالاستفهام والأمر والنهي ٠

والمبحث الثاني وهو: دلالة الإنشاء غير الطلبي على التمني ٠

تحدَّثت فيه عن أدوات التمني التي تنتمي في الأصل إلى الإنشاء غير الطلبي وهي (لعل) ٠

والمبحث الثالث وهو: دلالة الخبر على التمني ٠

تحدثتُ فيه عن دلالة الخبر على التمنِّي سواء أكانت هذه الدلالة بالجار أم بالكناية .

هذا هو ملخص موجز للبحث، أما نتائجه فنحاول أن نسجِّل أبرزها فيما يأتي:

١ – ليت أداة التمني الأصلية، وبقية الأدوات فرعية .

٢ – قد تنوب عن (ليت) أدوات أخر في إفادة معنى التمني، وتُعَدُّ هذه الأدوات أدوات فرعية؛ لأنها ليست خالصة لهذا المعنى، وأشهر هذه الأدوات هي: هل، لو، لعل .

والسر في العدول عن (ليت) إلى (لو) هو الإشعار بعزة المُتَمَنَّى وندرته ؛ لأن المتكلم يُبرزه في صورة الممنوع ؛ لأن (لو) في الأصل حرف امتناع، ومن ثم فهو يتعلق بالمستحيل كثيراً .

والسر في العدول عن ليت إلى (هل) ، هو إبراز المتمنَّى في صورة الأمر الممكن، الذي لا جزم بانتفائه ؛لأن المستفهم عنه لابد أن يكون ممكنا لاجزم بانتفائه بخلاف المتمنَّى فإنه قد يكون مجزوماً بانتفائه، وإن كان ممكناً ، وذلك لإظهار كمال العناية به ومزيد الرغبة فيه لدرجة أنه لا يستطاع الإتيان به إلا في صورة الأمر الممكن، الذي يطمع في وقوعه.

وكذلك السر في العدول عن(ليت) إلى(لعل) فإنه لإبراز المتمنَّى في صورة الأمر الممكن القريب الحصول–وهو المرجو– ؛وذلك لكمال العناية به وإظهار الرغبة فيه.

وبناء على هذا فإن استعمال الأدوات الفرعية في التمني لا يعنى إفراغ هذه الأدوات من معانيها الأصلية إفراغاً تاماً، ولكنها تظل محتفظة بشيء منه، تُصْبغ به هذا المعنى الجديد الذي أفادته وهو التمني.

٣ – توحي هذه الأدوات– وكذلك الأداة الأصلية للتمني في القرآن الكريم– بإيحاءات شتى ودلالات متعددة منها شدة رغبة المتكلم في المُتَمَنَّى والعناية به ، وهذه الرغبة وتلك العناية قد تكونان سبيلاً لتحسر المتكلم وتندمه، وقد تكونان سبيلاً للاستعطاف والاعتذار ، وقد تكونان لمجرد موافقة الخاطر والترويح على النفس– كما أشار إلى ذلك ابن يعقوب المغربي •

٤– باب التمني واسع يجد الإنسان فيه راحته وسلوته حينما يضيق عليه الواقع الفسيح.

٥– يفيد التمني في القرآن الكريم بالإضافة إلى ما سبق أغراضاً كثيرة قد تعرضنا لها أثناء البحث.

٦ – قد يُشارك التمني في تصوير الموقف تصويراً دقيقاً، كما يصور الحالة النفسية المتمني بدقة•

٧– التمني يتعلق بالزمان كله، ماضيه، وحاضره، ومستقبله.

٨ – إذا جاء التمني لتمنّي ما فات، فإنه يفيد التحسر والتندم وإذا جاء لتمني الحال والاستقبال، فإنه يفيد العناية به والرغبة فيه.

٩ – أدوات التمني الفرعية في القرآن الكريم، ليست موضوعة لإفادة التمني من أول الأمر، وإنما هي موضوعة لإفادة معان أخر خلاف التمني، ثم استُعملت في إفادة معنى التمني، ولذلك سُمّيت بالأدوات الفرعية، ويسميها بعضهم ــ تسامحاً ــ بالأدوات المجازية •

١٠ - تنتمي بعض الأدوات الفرعية إلى الأساليب الإنشائية الطلبية بأنواعها المختلفة ، وذلك كبعض أدوات الاستفهام وهى : هل، وأين، ومتى. وبعض صيغ الأمر والنهى ٠

وبعضها ينتمي إلى الأساليب الإنشائية غير الطلبية كـ (لعل) وبعضها ينتمي إلى الخبر كـ (لو)، والخبر حينما يخرج عن أصل وضعه إلى إفادة معنى التمني ٠

١١ - دلالة الأدوات الفرعية على التمني سواء أكانت إنشائية ـ طلبية أو غير طلبية ـ أم خبرية قد تكون من قبيل المجاز المرسل أو الكناية أو الاستعارة التبعية، وقد تكون من مستتبعات التراكيب ٠

١٢- الدليل على استعمال (لو)في التمني هو نصب الفعل المضارع بـ (أن)مضمرة بعد الفاء في جوابها.

١٣- لا تكون(لعل) للتمني إلا بقرينتين:

الأولى:أن تدخل على الأمر المستحيل أو البعيد.

الثانية :أن ينصب الفعل المضارع بـ(أن)مضمرة بعد الفاء في جوابها على رأي البصريين

١٤- مسألة القرب والبعد راجعة إلى إحساس المتكلم، فإن أحس الأمر قريبا فهو قريب -وإن كان في واقع الأمر بعيدا-ويحمل كلامه حينئذ على الترجي، وإن أحسه بعيدا فهو بعيد، ويحمل كلامه حينئذ على التمني بناء على إحساسه الذي أحس به.

١٥- تمحّضت (هل) للتمني في أربعة مواطن في القرآن الكريم وأفادته غرضاً ثانوياً في مواطن كثيرة ، كما أفادته (مَتَى) في آية واحدة وكذلك (أين) ٠

١٦- النحوي ينظر في التمني والترجي إلى اللفظ ،والبياني ينظر المعنى

١٧- التمني طلب عند جمهور البلاغيين والترجي ليس بطلب.

١٨- التمني بـــ(هل)وكذا(لعل)يأتي في مقامين :

المقام الأول :الدلالة على قرب المتمنى وإظهار الرغبة الحقيقية فيه.

المقام الثاني: إيهام قرب المتمنى والرغبة فيه.

١٩- ذكر بعض العلماء أن (عسى)تفيد التمني، ولكنها لم تـــشتهر بـــذلك، ولعل ذلك لأنها حرف طمع.

٢٠- لكل أداة من أدوات التمني مقام يناسبها وتناسبه.

٢١-إذا أسند التمني إلى الله تعالى، فإنه يجب أن يؤول بما يناسب إسناده إليـــه سبحانه

٢٢- يفيد الأمر والنهي التمني إذا توجّها إلى ما لا يعقل، كما يفيدانه إذا كان كل منهما محبوباً مرغوباً فيه بالنسبة للآمر والناهي ٠

٢٣-أفعال مادة الود تفيد معنى التمني ،إذا كان مفعولها جملة، أما إذا كـــان مفعولها مفردا ،فإنها تكون مستعملة في المحبة ،وهذا هو الفرق بين الود والتمني مـــن خلال الاستعمال القرآني مع ملاحظة أن نفيه يكون كناية عن الكراهية.

على أن طريق إفادة هذه الأفعال لمعنى التمني، إنما هو الكناية؛ لأن من أحـــب شيئا تمناه، ومن تمنى شيئا أحبه، فعلاقة اللزوم بينهما واضحة.

٢٤- يُستفاد معنى التمني من الخبر في القرآن الكريم بطـــرق متعـــددة؛ إذ يستفاد منه بالوضع أو المجاز أو الكناية .

فأما الدلالة عليه بالوضع فتكون من خلال التعبير عنه بمادة (المُنَى) ومشتقاتها .

أما الدلالة عليه بالمجاز فتتمثل في خروج (لو) عن أصل وضعها إلى إفادة معـــنى التمني، وكذلك في التعبير عنه بالفعلين (تدَّعون) و(يدَّعون) .

وأما الدلالة عليه بالكناية فتتمثل في خروج الخبر عن أصل وضـــعه إلى إفـــادة معنى التمني ، وكذلك في التعبير عنه بمادة الوُد ومشتقاتها .

هذه هي أهم النتائج التي أسفر عنها بحث أدوات التمني الفرعية في رحـــاب الكتاب العزيز. والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أمين .

د. سعيد إسماعيل الهلالي

مدرس البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بالزقازيق

جامعة الأزهر

فهـــرس المصـادر والمراجـــع

أولا : القرآن الكريم ٠

ثانيا : المصادر والمراجع الأخرى ٠

١ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم لأبي السعود العمادي ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ٠

٢ – الأساليب الإنشائية غير الطلبية في القرآن الكريم للباحث رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية بالزقازيق عام ١٩٩٧م٠

٣ – أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين للدكتور قيس إسماعيل الألوسى ط دار الكتب للطباعة والنشر بغداد . العراق ٠

٤ – الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير السكندري مطبوع على هامش الكشاف .ط دار الفكر. بيروت. لبنان ٠

٥ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ط دار الفكر ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ٠

٦ – البحر المحيط لأبي حيان الغرناطي ط دار الفكر ط ثانية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ٠

٧ – بحوث في علم المعاني للدكتور عبدا لجواد محمد طبق والدكتور عبدا لحميد العيسوي بدون اسم الطبعة التاريخ ٠

٨ – بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي. مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر الطبعة الثامنة ٠

٩ - التبيان في إعراب القرآن الكريم للعكبري ـــ على هامش الفتوحات الإلهية ـــ ط عيسى البابي الحلبي ٠

١٠ - التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط الدار التونسية ١٩٨٤م٠

١١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير . دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ٠

١٢ - التفسير الكبير للفخر الرازي (مفاتيح الغيب) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٠

١٣ - التمني في البلاغة العربية جذور وثمار للباحث ط دار الزهراء بالزقازيق ط أول ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٢م٠

١٤ - الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ط دار الشام للتراث. بيروت . لبنان ٠

١٥ - حاشية الدسوقي على شرح السعد ـــ ضمن شروح التلخيص ـــ المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر . ط أولى ١٣١٨هـ٠

١٦ - حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة بعناية القاضي وكفاية الراضي ط دار صادر ٠

١٧ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور/ محمد عبد الخالق عضيمة ط دار الحديث القاهرة ٠

١٨ - دلالات التراكيب للدكتور محمد محمد أبو موسى ط دار التضامن ط ثانية ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٧م الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة٠

١٩ - روح المعاني للألوسي . دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان .

٢٠ - شروح التلخيص (مجموعة من الشراح) المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر ط أولى ١٣١٨هـ .

٢١ - عروس الأفراح للسبكى ـ ضمن شروح التلخيص ـ المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر . ط أولى ١٣١٨هـ .

٢٢ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢٣ - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية الجمل) ط دار إحياء الكتب العربية . القاهرة .

٢٤ - الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق عماد زكى البارودي ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة .

٢٥ - في ظلال القرآن (تفسير) لسيد قطب ط دار الشروق . الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٢٦ - الكتاب لسيبويه .المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر ط أولى١٣١٦هـ

٢٧ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير) للزمخشرى (٥٣٨هـ) ط دار الفكر . بيروت . لبنان .

٢٨ - لسان العرب لابن منظور . تحقيق نخبة

٢٩ -

٣٠ - من العاملين بدار المعارف ط دار المعارف .

٣١ - متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار . تحقيق الدكتور عدنان زرزور ط دار التراث بالقاهرة .

٣٢ - مشاهد القيامة في القرآن الكريم لسيد قطب . دار الشروق ط تاسعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٣ - مغني اللبيب لابن هشام المصري ط دار إحياء الكتب العربية.

٣٤ - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) كتاب الجمهورية . دار التحرير للطبع والنشر.

٣٥ - المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان.دار الرشيد للنشر والتوزيع.

٣٦ - مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي - ضمن شروح التلخيص - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر ١٣١٨هـ .